المختار من الأدب الإسلامي

الدكتور
أحمد محمد قدور

Bibliotheca Alexandrina
0121630

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار من الأدب الإسلامي

المختار من الأدب الإسلامي

الدكتور
أحمد محمد قدور

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الكتاب ٩٥١
الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م
جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلاّ بإذن خطي من **دار الفكر بدمشق**

سورية - دمشق - برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد - ص.ب (٩٦٢)
برقياً: فكر - س.ت ٢٧٥٤ هاتف ٢٣٩٧١٧، ٢١١١٦٦ - تلكس FKR 411745 Sy

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق
الطباعة (أوفست): المطبعة العلمية بدمشق

المقدمة

حين دعتني جامعة صنعاء للعمل في كلية الآداب التابعة لها في مدينة تعز ، نهضت وزملائي في قسم اللغة العربية إضافة إلى الأعباء التدريسية بوضع الخطّة الدرسية ، وإعداد مفردات المقرّرات ، واعتماد المراجع الضرورية .

وكان ممّا عنيت به عناية فائقة مقرّرات الأدب القديم ونقده ، ولا سيّما الأدب الإسلامي الذي ظلمه بعضهم بدعوى ضموره أو عدم اختلافه عن سابقه الأدب الجاهلي .. إلى غير ذلك من دعاوى انصبّ معظمها على مرحلة صدر الإسلام خاصة . ورأيت حين تولّيت تدريس الأدب الإسلامي بمقرّريه : تاريخ الأدب ، ودرس النصوص ، أنّ نظرية تطوّر هذا الأدب وتجدّده يجب أن توجّه خطا الدرس جميعاً ولا سيما ما اتصل بالنصوص تحليلاً ونقداً .

وتحقيقاً لما وضعته من خطة وقصدته من غاية اخترت مجموعة من النصوص الشعرية والنثرية لتكون حاضرة بين أيدي الطلاب الذين باتوا يستصعبون الرجوع إلى المصادر ، ويشكون من غلائها أو عدم توافرها . وقد سعيت ـ فيما اخترت من النصوص ـ إلى الوفاء بالمعالم المهمّة في الأدب الإسلامي على اختلاف مناحيه مع مراعاة

الـزمن الـذي يستغرقـه التـدريس الفعلي في ظـل النظـام الفصلي المعمـول بـه في معظم الجامعات العربية .

وأملي كبير في أن يجد طلبـة الأدب الإسـلامي معظم مـا يطلبـونــه من نصـوص شاهدة على غنى هذا الأدب في هذا « المختار » الوجيز الـذي لقي قبولاً واستحسـانـاً حين وضعت أصولـه بين أيـدي طلبتي في اليمن الـذين بسببهم كان هـذا العمـل الـذي إليهم يهدى .

والله الموفّق

د. أحمد محمد قدّور
رئيس قسم اللغة العربية
كلية الآداب / تعز

حلب في ٣٠ من آذار لعام ١٩٩٣ م

تمهيد

في دراسة النصوص ونقدها

هـذه جملـة من الاختيـارات الأدبيـة التي تمثّل صـورة عـامـة لـلأدب في العصر الإسلامي . وقد روعي فيها أن تكون معبّرة عن مراحل الأدب الزمنيـة من جهـة وعن اتجاهاته الموضوعية من جهة أخرى .

فـالعصر الإسلامي كما هـو معروف يضمّ مراحـل زمنية تبـدأ مـع البعثـة النبـويـة ولا سيّما بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ، وثوران التهاجي بين شعرائـه من جهـة ، وشعراء قريش المشركين من جهة أخرى . وتنتهي هذه المرحلة بـانتقـال الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى . ويطلق على هـذه المرحلـة مصطلح عصر الرسول . ثمّ تبـدأ مرحلـة أخرى مـع خـلافـة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وتنتهي بـاغتيـال عليّ رضي الله عنـه والتسليم لمعاوية بالخلافة . ويطلق على هـذه المرحلـة عصر الخلفـاء الراشـدين . وكثيراً ما تُجْمَع المرحلتان معاً تحت مصطلح واحد هو عصر صدر الإسلام .

أما المرحلة الثالثة فهي مـا يطلق عليهـا عـادة العصر الأموي ، وتبـدأ حوالي سنـة ٤٠ للهجرة وتنتهي عنـد سنـة ١٣٢ هـ ، وهي السنـة التي انتهت فيـه دولـة بني أميـة وقامت على أثرها دولة بني العباس .

ويبدو أن قصر بعض تلك المراحل زمنياً وتشـابـه عنـاصرهـا بعضهـا ببعض جعل الكثير من البـاحثين يميلون إلى اعتبارهـا عصراً واحـداً مع مراعـاة الفروق التي لا بـدّ أن تظهر بين مرحلة وأخرى ، أو بين اتّجاه وآخر . وعلى هذا جرينا في هذه المختـارات إذ جعلناها ممثّلـة لعصر واحـد هو العصر الإسلامي ، لِما لوحـظ من سمات عـامـة مشتركـة تطبع هذا العصر بكامله .

وقد جعلت هذه المختارات في فصلين : خُصّص الأولُ منها للنصوص الشعرية ، على حين خُصّص الثاني للنصوص النثرية . وقد راعيتُ في الكثير من المواضع ضمّ الأشباه والنظائر . فقد بُدئت النصوص الشعرية بقصدة لحسّان ثم بنصّ لكعب ، وهما من المخضرمين الذين مثّلوا ولا سيّما حسان مرحلة عصر النّبوة ، ثم أثبَتُّ نصوصاً لِشعراء العصر الراشدي كأبي مِحجن وعمرو بن معديكرب والقعقاع والحطيئة وسحيم . وعرضت بعد ذلك نصوصاً لِشعراء من العصر الأموي كان في مقدّمتهم شعراء النقائض ، ثمَّ شعراء السياسة المعارضون للأمويين كالكميت والطّرماح وابن قيس الرقيات . وختمتُ النصوص بثلاث قصائد غزلية لعمر وجميل وكثيّر . وواضح أنّ هذا الترتيب يراعي الزمن غالباً ، كما يراعي الاتجاهات الموضوعية دائماً .

أما النصوص النثرية فقد بدأتها بخطبة الرسول ﷺ في حجّة الوداع ، وهي خطبة ذائعة الصيت ، ثم اخترت خطبة قصيرة لأبي بكر يوم السقيفة ، وخطبة شهيرة للإمام عليّ في الجهاد ، وأثبتُّ بعد ذلك رسالة لعمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في أصول الحكم وهي أثر نثريّ مهمّ فنيّاً وموضوعيّاً . وأتبعت ذلك بنصّين من خطبتَيْ زياد والحجّاج ، وهما من أشهر الخطب السياسية في العصر الأموي . وأنهيت هذه النصوص بخطبة شهيرة لأبي حمزة الخارجي .

ومن الواضح أنّ الكثير من هذه المختارات تداوله معظم المناهج المدرسية والجامعية الحديثة ، إضافة إلى أنّ بعض كتب القدماء ضمّت أشياء من هذه المختارات . وهذا دليل على إجماع الآراء على جودة ما اختير وأهميته . ولا شكّ في أنّ ذيوع هذه المختارات وغيرها ـ فنصوصنا هنا غيض من فيض ـ في هذا العصر أكسبها حضوراً زمنياً وتأثيراً فنيّاً تجلّى في استخدام عناصرها وتداخل موضوعاتها في الشعر العربيّ الحديث من خلال شكال متعدّدة كالمعارضة والاقتباس والرمز والتناصّ وغير ذلك .

وقد بذلت على الرغم من ضيق الوقت جهداً كبيراً في اختيار النصوص وضبطها

ضبطاً دقيقاً ، وشرح مفرداتها شرحاً مناسباً مستعيناً بالدواوين وكتب الاختيار والمعاجم . وكنت أضع نصب عيني أنّ هذه النصوص وضعت تلبية لحاجة الطلاب وهم توّاقون دوماً ولاسيّما في ضوء المناهج الجامعية الراهنة إلى تلقّي المعرفة جاهزة لا تحتاج إلى بذل أيّ عناء أو ممارسة أيّ تدريب حقيقي في المصادر الأصلية .

ورأيت أن أثبت ترجمات موجزة لأصحاب النصوص لإعطاء لمحات عن حيواتهم واتجاهاتهم وهي لا تغني عن مطالعة المراجع التي اهتمّت بدراستهم أو الرجوع إلى المصادر والدواوين الأصلية التي حوت آثارهم .

✡ ✡ ✡

يحسن بنا ونحن نقدّم لهذه النصوص أن نشير إلى أهمّ معالم الدراسة النقدية بحدودها المدرسية . إذ لا مناص مع اختلاف المناهج النقدية وتعدّد طرق تحليل النصوص الأدبية من تعريف القارئ ولا سيّما الطالب ببعض الجوانب الرئيسة التي تعرض لها معظم الطرق الدرسية التي تتناول النصوص بالتحليل والنقد .

ولا بدّ من الإقرار بداية بقصور أيّ طريقة مقترحة عن الوصول إلى درجة المنهج الصارم الذي يصلح لتحليل جملة متعدّدة من النصوص مع تباين سماتها وتعدّد مذاهبها . ولذلك بات ضرورياً تعديل الخطة التي يعتمدها الدارس عادة ، أو الاجتزاء بجانب أو أكثر من جوانبها أمام تباينات النصوص .

لقد صار من المبادئ المقرّرة في هذا الصدد أنّ لكلّ نصّ مفتاحه الخاصّ الذي يتيح للدارس دخول عالمه وكشف أسراره . فنصّ مفتاحه لغته ، وآخر مفتاحه صوره ، وآخر مفتاحه إيقاعه .. وهكذا دواليك . ومفتاح النص هو أبرز الخصائص التي تسيطر على مكوّناته الموضوعية والفنية .

والدراسة النقدية التي نقترح ، تشمل ثلاث مراحل متتالية ، تبدأ **بالتعريف ثمّ بالتحليل ثم بالتقييم** .

أ ـ فالتعريف يتناول الإطار الخارجي للنصّ المدروس ، ويوضّح علاقة النصّ بالعصر الذي ينتمي إليه ، والبيئة التي ولد فيها . كما يبيّن الملامح الرئيسة لمذهب صاحب النص عامة ، ويحاول الوقوف على العلاقة بين النص وصاحبه خاصةً . ولا بدّ من تعرّف الدارس مناسبة النص إن كانت له مناسبة خاصة مباشرة ، كأن يكون النصّ وليد حادثة معينة أو نتاج ظروف محدّدة . فإذا لم تكن للنص مثل هذه المناسبة المباشرة فتّش الدارس عن أشياء أخرى في حياة صاحب النص تصلح تفسيراً لولادة النص على وجه التقريب . وتجدر الإشارة هنا إلى أن كل ما ذكر يشكل إطاراً واحداً تتعاون عناصره على وضع النص في المرحلة التالية .

ولمّا كانت هذه الدراسة المقترحة تُساق للمبتدئين من الطلبة الجامعيّين ومن في حكمهم فلا بدّ من احتساب مرحلة إضافية تلحق بمرحلة التعريف ، وهي مرحلة الشرح الذي يقدّم فيه المدّرس دلالات النص اللغوية موضّحة بالقدر المطلوب لتواصل الطلبة مع النص واقترابهم من مكوّناته . وتغدو مرحلة الشرح ضرورية ولازمة حين تكتنف بعض النصوص غرابة ،جرّاء البعد الزمني الفاصل بين عصر النص ، والمتلقين . أو يعتريها غموض بسبب طبيعة العمل الإبداعي القائمة على التوغّل في البنية التاريخية للغة ، واصطناع الأساليب المجازية والتصويرية البعيدة عن المألوف عادة . أو يمسّها انقطاع لغوي وحضاريّ عن ثقافة المتلقين ، لأنها ـ أي النصوص ـ ليس لها أدنى صلة بهؤلاء المتلقين ، إذْ هي نصوص منقولة نقلاً عن تجارب الآخرين .

ب ـ والتحليل يتناول الإطار الداخلي للنص . فعلى حين توضّح المرحلة السابقة ملابسات النص وتُوقف على دلالاته اللغوية المباشرة ، تسعى هذه المرحلة إلى الكشف عن بنية النص وتحليلها وبيان مرامي النص ودلالاته العميقة .

ومن المعروف أنّ بناء النص الأدبي يقوم على جملة من العناصر التي لا بدّ من

تعرّفها ودرسها وبيان وظائفها . وهذه العناصر هي : **الموضوع واللغة والأسلوب والإيقاع** .

١ ـ **فالموضوع** : هو أفكار النص التي نسجها المبدع شعراً أو نثراً على اختلاف فنونها . والموضوع لا يؤثر بحدّ ذاته في النص سلباً أو إيجاباً ، أي أن عظمة الموضوع وسموّ أفكاره لا يرفعان من قيمة النص إن كان هشّ البناء ، ضعيف الإيحاء ، شحيح الماء . وبالمقابل نجد أن ابتذال الموضوع وبساطة أفكاره لا يجعلان النصّ منحطّاً ، ما دام التعبير فنياً مستوفياً شروط العمل الإبداعي . ومن الأدلة على ما نذكر إجادة عنترة الشاعر العربي القديم في وصف الذباب إجادة فائقة على الرغم من أن الذباب حشرة لا يؤبه بها(١) . فالموضوع ليس الغاية التي يقصدها الدارس والناقد . لأن أكثر الموضوعات أمور مطروحة للناس يتداولونها في حياتهم بأساليب مختلفة . ومن هنا لا يمكن الزعم أنّ هذا الموضوع موضوع فنيّ يصلح أساساً للتناول ، وأنّ ذاك الموضوع موضوع مبتذل لا يصلح لذلك التناول . إنّ مدار الأمر هو طريقة ائتلاف العناصر المكوّنة للنص ، أو بعبارة أخرى : نسيج النص وصناعته .

وحين يعرض الدارس للموضوع يبيّن حدوده وأقسامه ، أي أفكاره الجزئية . ويوضّح مدى ارتباط الموضوع بالعصر الذي ولد فيه النص وغير ذلك من عناصر المقام . ويتعرّف طريقة تنظيم الأفكار في النص ، وتسلسل ورودها فيه أو عدمه .

ومن الممكن في هذا السياق تطبيق تقنية الكلمات المواضيع (Mots Thémes) بحدودها الأولى . إذ تُكشف الأفكار النصية من خلال إعداد قوائم لكل مجموعة من المفردات التي تشكل موضوعاً محدّداً . مثال ذلك جمع المفردات الدالة على الفخر والعظمة في إحدى قصائد المتنبي ، وجمع المفردات الدالة على التكسّب أو التذلّل في القصيدة نفسها ، وجمع مفردات أخرى تشكّل موضوعاً آخر ، ثمّ تجري مقارنة ما تمّ جمعه واستخلاص دلالاته ومراميه . وتتيح هذه العملية المبسّطة تجاوز حدود الموضوع الذي

(١) انظر وصفه الذباب في معلقته ضمن شرح القصائد العشر للتبريزي ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٦

يعنون به النص عادة إلى كشف الموضوع الأعمق الذي يختلج في قلب المبدع ويسيطر على إبداعه واعياً لذلك أو غير واعٍ . وقد يجد الدارس من خلال الطريقة السابقة أشياء مهمّة إذ قد لا يمثّل موضوع القصيدة أو النص الأساسي شيئاً ذا بال عند الشاعر أو المبدع ، فهو على الرغم من أنه يمدح ـ كمديح المتنبي الأمراء والملوك ـ معنيّ بشخصه ومجده عناية تسيطر على القصيدة كاملة . ومن الأمثلة على ذلك إضافة إلى ماسبق مالوحظ في معظم أشعار صلاح عبد الصبور الشاعر المحدث من سيطرة موضوعات الحزن على سائر الموضوعات اعتماداً على طريقة المفردات المشكّلة للموضوعات . فالشاعر لا يني يلهج في أشعاره ولا سيّما ديوان « الناس في بلادي » الذي طبّقت عليه الطريقة السابقة بموضوعات الليل وما يتصل به كالدجى والعتمة والمساء ، والحزن وما يتعلق به كالكآبة والعذاب وعدم الابتسام ، والموت والقبر والعدم ونحو ذلك . والجدار والسّور والحجر وما شابهها . ثمّ إن الشاعر حين يذكر مفردات تدلّ على النور والصباح والفجر والولادة يسوقها في مجال الحزن نفسه ، إذ يغدو الصباح معركة تخاض من الجراح إلى النواح ، ويغدو النور سلاحاً أو زلزالاً[1] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ أكثر الطرق المدرسية المهتّمة بدراسة النصوص تعنى بالعاطفة ، وهي تعبير عن الطريقة النفسية التي قدّمت من خلالها أفكار النصّ خاصة وسائر جوانبه عامة . لذلك لا بأس من تعرّض الدارس لملامح العاطفة البارزة في النصّ واقفاً على مَبعثها من حادثة أو ذكرى أو غاية . ومبيّناً مجالها فردياً كان أو جماعياً أو قومياً أو إنسانياً . وموضحاً شكلها قوّة وعمقاً وتأثيراً أو ضعفاً وسطحية وعدم تأثير . ومن الممكن وصف الطوابع العامة للعاطفة والاكتفاء بذلك إذا لم يكن في النّص ما يدعو إلى التفصيل والتدقيق . فقد يُوصف النصّ بتمامه بأنه ذو طابع حزين ، أو متفائل ، أو ثائر ، أو هادئ ، أو غَزَلي تنبعث منه مشاعر الحبّ أو تطلّ منه شهوات الجسد ... إلى غير ذلك .

---

(١) انظر : صلاح عبد الصبور ، الناس في بلادي ، دار العودة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٢ ، ص ٣٣ ـ ٦٦

٢ ـ واللغة : هي أساس بناء النص ، لذلك ينبغي الاهتمام بتحليل عناصرها تحليلاً دقيقاً . ويلاحظ في هذا الصدد أنّ عدم الاهتمام بالبناء اللغوي للنصوص يقود إلى تسطيح العملية النقدية واختصارها إلى مجموعة من الأفكار والموضوعات التي لا يُتوقّف عند أشكالها وطرق بنائها بقدر ما يُتوقّف عند مراميها الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية الأيدولوجية . ويؤدي هذا إلى الاستهانة بأدبية النصّ (Littérarité du Texte) ، أي بالذي يجعل من النص أدباً يختلف عن الكلام الجاري .

وعلى النقيض ممّا سبق يلاحظ أن الاستفادة من المعطيات اللغوية تقلّل من المزالق التي يقع فيها عدد من الدارسين الذين يكتفون بالوجهة المضمونية الخالصة من غير التفات إلى البناء اللغوي الذي يشكل نسيج النصّ الجدير بالاعتناء .

ويمكن النظر إلى بناء النص اللغوي في سياق الإجراء الدرسي من ثلاثة مستويات ، هي البنية الإفرادية والبنية التركيبية والبنية النصية .

فالبنية الإفرادية تتناول المفردات مأخوذة من تراكيبها للنظر فيها فرادى ولا سيما في المرحلة الأولى . ولا بدّ هنا من التوقّف عند المعنى المعجمي وتطوّره وربطه بالزمان والمكان والفنّ الأدبي والمبدع إن أمكن . ثم ينظر في ملاءمة المفردات للموضوعات التي يتضمّنها النصّ المدروس حتى يُعرف مدى التئام عناصر النصّ أو عدمه . ولا يكتفي بالاستعانة بالمعجم لإيضاح معاني المفردات ، لأن المعجم يقدّم المعاني السكونية العامة على حين أن النصوص تغيّر في الكثير من المعاني بسبب السياق الذي تضعها فيه . ويتناول درس البنية الإفرادية إضافة إلى موضوع تحديد الدلالة وتطوّرها وبيان سياقها موضوع العلاقات الدلالية بين المفردات ، فيوضّح التقارب بين مفردة وأخرى من جهة المعنى أو التباعد ، كما يوضّح مقدار المعنى المشترك بين هذه المفردة وتلك . ولا بأس من بيان ما ينتمي من المفردات إلى الرصيد المشترك للغة ، وما ينتمي إلى الرصيد الفني المتداول في دائرة ذات اختصاص إبداعيّ أو حرفي ، وما ينتمي إلى دائرة المبدع الخاصة .

أما البنية التركيبية فتضمّ الجمل التي لا يكون كلام بدونها . ويستحسن قبل النظر في أشكال الجمل التوقف عند أقسام الكلام الصرفية وتصنيفها بقدر ما هو معين على خدمة الدراسة بكاملها . فمن الممكن الإشارة إلى عدد الأسماء الواردة وأنواعها وصيغها الاشتقاقية وبيان دلالة ذلك . كما يمكن الإشارة إلى عدد الأفعال وأنواعها وصيغها واشتقاقها وزمنها . ويمكن أيضاً أن يشار إلى أنواع الصلات والتوابع والمتعلّقات المكمّلة للجمل . أما أنواع الجمل الاسمية والفعلية والشرطية وأزمنة الأفعال النحوية وما شابه ذلك من عناصر البنية التركيبية ، فإنها تتيح فهماً للمعنى النحوي وطريقة أدائه وصلته بمبدعه . وليست العناصر السابقة لازمة لتحليل البناء وحده ، بل هي نفسها عناصر الأسلوب ومادة التصوير ووسائل التأثير .

وتضّم البنية النصية الأثر المدروس كاملاً ، فالنصّ مهما صغر حجمه أو كبر[1] يشكل وحدة مستقلة هي نتاج تفاعل البنى الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . وينظر هنا في ملامح النصّ عموماً لبيان أوجه التشابه والتكامل أو التضادّ والتنافر بين عناصر النص . كما يُنظر في مدى الترتيب والتنسيق أو عدمه ، ومقدار توازن الموضوع والبناء ، وسمات النصّ من الناحية اللغوية كأن يكون مكوّناً من الجمل البسيطة التي يرتبط بعضها ببعض عن طريق العطف ، فيكون من ذلك تراصّ وتواز ليس فيه تعقيد أو تداخل أو تقديم وتأخير . ويلاحظ أنّ توازي الجمل (Parataxe) يولّد المعنى مقسّماً ومباشراً وسهل التلقي . أو يكون النصّ مكوّناً من جمل متداخلة معقّدة تتصف بالترابط (Hypotaxe) الطويل مع تداخل عناصر أسلوبية كالاستثناء والحصر والاعتراض والتوكيد والشرط ونحو ذلك . وتولّد الطريقة الثانية هذه المعانيَ متداخلة

(١) يشمل مصطلح نصّ (Texte) كلّ ما هو معيّن أو محدّد لغاية ما ، وإن كان كلمة واحدة أو مجموعة من الكلمات ، أو ما هو أوسع من ذلك بكثير . انظر بحثنا : التناص ، الظاهرة وإشكالية المنهج ، مؤتمر النقد الأدبي الثالث بجامعة اليرموك ، إربد ، ٢٤ ـ ٢٦ تموز ١٩٨٩ م .

وعميقة ومعقّدة . ويلاحظ أنّ أنواع التعبير الراقي عقلياً تسلك هذه الطريقة ، كما في الفكر والفلسفة والعقائد والبحوث العلمية والدراسات اللغوية والنقدية العميقة .

٣ ـ والأسلوب : هو الطريقة التي سلكها المبدع في إحكام نسجه للنصّ وتقديمه كلاً متكاملاً متلاحم الأجزاء . ويضمّ الأسلوب في طريقة الدرس هذه مهارات مستمدّة من البلاغة العربية بفروعها : البيان والمعاني والبديع ، ومن البلاغة الأجنبية ولا سيّما تقنية الصورة الفنية ، ومن الأسلوبية والمدارس النقدية المعاصرة .

ويستحسن حين الإجراء النقدي توضيح مفهوم الحقيقة والمجاز لغوياً وبلاغياً وصولاً إلى خصائص الأسلوب الدلالي الجاري في النصّ . ثمّ تكشف أنماط البيان الواردة في النص كالتشبيه والاستعارة والكناية ، وتشرح وتُبيّن وظائفها (ورودها للتعبير أو للتزيين) ، وتوضّح جدّتها أو قدمها ، وعمومها أو خصوصها . ويمكن التوقّف بعد ذلك عند دلالات التركيب النحوي وأغراضه وتحديد مرامي الأساليب النحوية المستعملة ، فينظر مثلاً في التقديم والتأخير ـ إضافة إلى أنه ظاهرة لغوية تسهم في بناء النص وإعطائه سماته اللغوية ـ إلى أغراضه ومدى بلوغه مراميه . وكذلك يكون النظر في الفصل والوصل وضروب الجمل خبرية كانت أو إنشائية ، وسائر الأساليب النحوية . إنّ أهم ما يجب مراعاته في هذا الصدد هو أنّ الظواهر البلاغية والأسلوبية البارزة في النص هي التي تستحقّ الدرس وحدها ، إذ لا فائدة من وضع قائمة من فنون البلاغة وضعاً مسبقاً ثمّ محاولة البحث عن أمثلة لها مهما كان البحث متكلّفاً ، أو الأمثلة من النص متصيّدة ، أو الاستدلال عامّاً لا يقدّم شيئاً في خصوصية النص أو يؤخّر .

وإذا كان النصّ المدروس حديثاً ساغ عندئذ تطبيق تقنية الصورة الفنية بأشكالها وأنماطها المعروفة في دراسات الصورة الحديثة[1] . كذلك يسوغ تطبيق تقنية الرمز

---

(١) انظر للتوسع : نعيم اليافي ، مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، دمشق ، ١٩٨٢ م .

والأسطورة تطبيقاً واسعاً ولا سيما في النصوص الأدبيـة المعـاصرة . ومن الممكن إذا كان في النصّ مـا يـدعو إلى البحث عن علاقـاتـه بـالنصوص الأخرى تحليل البنـاء النصّي أو تشريحه على طريقة التناص (Intertexte) ، ويمكن هنا أن يشـار إلى أشكال متعـدّدة تظهر حين التحليل التناصّي كالاقتباس والتضمين ـ وهمـا من الأشكال البلاغيـة العربيـة القديمة ـ والمعارضة ونحوها كالتأثير غير الجليّ أو الاحتذاء . ولا بدّ من ملاحظـة الملامح النقدية الحـديثـة في هـذا الـدرس وتمييزهـا من أشكال قريبـة منهـا كموضوع السرقـات الشعرية الذي درس ضمن أُطر نقدية سيطر عليهـا الصراع بين القـديم والجـديـد أي بين تيـاري الطبـع والصنعـة كما عرضتـه كتب النقـد العربي القـديم . إن أغراض استحضـار النصوص القديمة صـارت من الكثرة بمكان ، إذ قلّ أن نجـد شـاعراً محـدثـاً لم يعزف على قيثارة تلك النصوص ولم يتوسّل بشياتها ، مع اختلاف الطرق وتعدّد الغايات .

وليس مطلوباً تطبيق كلّ هذه العناصر والملامح الأسلوبيـة ، إذ لا بـدّ من مراعـاة خصائص كلّ نصّ زمنياً وفنياً ، فيختار لهذا النص من الطرق ما لا يختار لـذاك . ثمّ إنّ هـذه الجـوانب ليست إلا إمكانـات للنفـوذ إلى النصّ يستخـدم منهـا مـا كان مـلائمـاً وضرورياً . ولا حاجة إلى التكلّف في تطبيق ما لا داعي له من النصّ نفسه .

٤ ـ والإيقـاع : عنصر مهم من عنـاصر أدبيـة النصّ شعراً كان أو نثراً . وقـد جرى الإلحاح على هذا العنصر في التراث النقدي القديم وجعلـه فيصلاً بين فنّي الشعر والنثر . غير أن الدراسات النقدية الحديثة أخذت تهوّن من أمر القسمة القديمـة للكلام الأدبي بين شعر موزون ونثر مرسل ، وتشدّد على احتساب منطقة وسطى تظهر من تـداخل الشعر والنثر وتضمّ النظم الذي لا شاعرية فيه ، والنثر الموقّع . ويمكن جعل مـا يـدعى الآن بـ « قصيدة النثر » ضمن هذه المنطقة التي يصطلح فيها الضدّان .

ومن المعروف أن الخليل بن أحمد اكتشف أوزان الشعر العربي وتوصّل إلى تدوينها وترسيخ قواعدها فيما عرف بعلم العروض . وكما تحوّلت البلاغة العربية القديمة إلى مجموعـة

من القواعد الثابتة ذات الأمثلة المحفوظة المكرّرة صار العروض غاية تقصد حتى بَعُدَ مابين الشعر والعروض من مسافة . والذي أراه في هذا الصدد هو أنّ العروض إجراء علمي كشف القواعد الصوتية للأنماط النغمية الموسيقية التي يجري عليها الشعر العربيّ . وهو بجمله إنجاز علمي كبير وابتداع خليليّ فائق . لكنّ استخدام العروض في التطبيق النقدي ينبغي أن يعود إلى محاولة كشف الأنماط النغمية للشعر المدروس عن طريق القراءة الموقّعة بأشكال متعدّدة من السرعة والبطء . وهذه الأنماط النغمية هي التي تستحضر في روع المبدع حين يبدع ، ولذلك هي أقرب إلى روح النص من أيّ إجراء آخر كاصطناع تقنية التفعيلة والبحر إو الإغراق في عدّ الزحاف والعلل ونحو ذلك ممّا تعنى به دروس العروض في أشكالها المدرسية[١] .

إذن هناك بحث عن « موسيقا » النص الشعري لا عن عروضه ، لأن عروضه شكل درسي منته ، أما موسيقاه فضروب من الإيقاع الذي يبدأ من الصوت والحرف والبناء والتركيب والشكل . أما الصوت فهو الصائت (voyelle) القصير أو الطويل ، كالضمة والكسرة والفتحة ، والواو والياء والألف . فالأصوات المتماثلة تحدث إيقاعاً معيناً حين تكرارها . كذلك يحدث تكرار الحروف أي الصوامت (Consonnes) إيقاعات أخرى تأتلف مع الصوائت عادة . مثال ذلك ما نراه في قول أبي تمّام :

تـــــدبير معتصمٍ بـــــالله منتقمٍ   لله مرتقبٍ في الله مرتغبِ

فهناك في الشطر الأول : م + كسر (معتصم) / م + كسر (منتقم) — م

وفي الشطر الثاني : ب + كسر (مرتقب) / ب + كسر (مرتغب) — ب

وفي الشطرين معاً تقارب صوتي بين الميم والباء لأنها حرفان (صوتان) من

(١) انظر للتوسع ما كتبه عبد الملك مرتاض حول الصوت والإيقاع في كتابه : بنية الخطاب الشعري ، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر ، ١٩٩١ م .

الحروف الشفوية . ويحدث تكرار الأصوات دون الحروف إيقاعات خاصة كما سبقت الإشارة . ومثاله في قول إمرئ القيس :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً ... كجلمود صخر حطّه السيل من علِ

وذلك في تكرار الكسر مع التنوين في : مقبلٍ ومدبرٍ ، مع ملاحظة التقارب بين اللام والراء ، إذ هما حرفان ذلقيان . أما (مكرٍّ ، مفرٍّ) فهما من النوع الآخر الذي يتكرر فيه الحرف والصوت معاً .

ويقدّم البناء الصرفي إيقاعاً آخر مساعداً على تشكيل الشكل الإيقاعي الداخلي للنصّ . فلنعد إلى (مكرٍّ ومفرٍّ) لنجد البناء فيهما واحداً أي أنّ :

مِكرّ = مِفْعَل .
مفَرّ = مِفْعَل .

كذلك نجد في مقبلٍ ومدبرٍ ، إذ هما أيضاً من بناء واحد مكرّر :

أي أنّ : مُقبل = مُفْعِل
مُدْبر = مُفْعِل

كذلك الشأن في أمثلة بيت أبي تمام السابق : (معتصم ومنتقم) = مفتعل ، و(مرتقب ومرتغب) = مفتعل ، مع زيادة في تكرار الحروف والاقتراب من تطابقها ماعدا الغين التي خالفت القاف . وهناك شكل آخر من الإيقاع الداخلي الذي تولّده التراكيب النحوية حين تتساوى عناصرها مصحوبة بإيقاعات صوتية وصرفية أو غير مصحوبة . ولننظر في الإيقاع الذي يولّده تساوي جملتي : جاء الحقُّ وزهق الباطلُ في قوله تعالى : ﴿وقلْ جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنّ الباطلَ كان زهوقا﴾ على الرغم من أن الحرف المولّد للإيقاع مختلف والبناء الصرفي غير متفق . لكنّ توافق بناء الجملتين وابتداء كلّ منهما بفعل ماض له وزن واحد مكرّر هو (فَعَل) هو الذي ولّد الإيقاع مع مشاركة صوت الضمّ في (الحقُّ) و (الباطلُ) .

ويطول بنا الكلام إذا سقنا المزيد من الأمثلة . لذلك نكتفي بما أوردنا على أن يكون طرقاً من التحليل لا أمثلة وشواهد للحفظ . وهدفنا من ذلك وضع اليد على جوانب من الإيقاع لم يكن يحسب لها أيّ حساب . وغنّي عن القول أن هذه الإيقاعات جميعاً لا تخصّ الشعر وحده ، بل هي موجودة في ضروب النثر الفني ، وما أكثر أمثلتها في الأحاديث النبوية الشريفة والأمثال القديمة والخطب السياسية والعقائدية والمقامات ونحوها من فنون النثر الأدبي الرفيع . أما الشكل العام للإيقاع ، أي ما دعوناه بالنمط النغمي فأظهر ما يكون في الشعر العمودي القائم على مجموعة من التفعيلات المتساوية . وهذا الشكل هو الذي يعبر عنه علم العروض بالبحر(١) .

ج ـ التقييم وهو المرحلة الأخيرة من مراحل الدراسة النقدية على النحو الذي وصفنا آنفاً . والدارس هنا مسوق للإدلاد برأيه في النصّ الذي درس ، إذ تكون قد تكشّفت له جوانبه وتوضّحت معالمه . ولا بدّ من هنا من وضع النصّ في مكانه المناسب ضمن نصوص المبدع ، وبيان دوره ـ أي النص ـ فنياً ، إن كان له ذلك الدور أو اجتماعياً أو غير ذلك من الأدوار الوظيفية . ويستحسن لغايات تعليمية النظر في مزايا النص أي ملامح التفوّق فيه مقارنة مع مهاوي النص أي المواضع التي قصّر فيها وانحطّ عن مستواه إن كان يغلب عليه التفوّق . كما يستحسن تدريب الدارسين على تحسّس بعض المعايير الجمالية السائدة في العصر الذي وُلِد فيه النصّ ، ومعرفةُ مدى تغيّرها بفعل عوامل الزمن وتطوّر الحياة والفنّ . ومن المرجو ألاّ يُؤْخذ كلّ ما يبحث ضمن هذه المرحلة على أساس أنه حكم قاطع على النص لا يقبل تراجعاً ، إذ دون ذلك صعوبات لا تذلّل ، لأن النصّ الأدبي محتمل للقراءة المتعدّدة والمتجدّدة أبداً بتعدّد المتلقين وتجدّد القراءات واختلاف وجهات النظر ومستويات الدرس اتساعاً وعمقاً .

---

(١) لا بد من التفريق بين النمط النغمي الذي يُعبّر عنه بمصطلح البحر عروضياً ، وتلك الأشكال من الإيقاع الداخلي ، إذ يمثل النمط = البحر شكلاً صوتياً صرفاً قائماً على الحركة والسكون فقط ، على حين أن الإيقاع الداخلي شيء مرتبط بالأصوات وأشكال بنائها وتكرارها وعدد عناصر الجمل وعامل معانيها أو اختلافها .

الفصل الأول

النُّصوص الشعرية

-١-

قالَ حسّانُ رضي الله عنه(☆) يمدحُ المصطفى ﷺ وذلك قبلَ فتح مكّة ، ويهجو أبا سفيان(١) « وكان هَجا النّبيَّ ﷺ قبلَ إسلامه » :

١- عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِواءُ ... إلى عذراءَ منزلُها خَلاءُ
٢- ديارٌ من بني الحَسْحاسِ قفرٌ ... تعفّيها الروامسُ والسماءُ
٣- وكانت لا يزالُ بها أنيسٌ ... خلالَ مروجها نَعَمٌ وشاءُ
٤- فَدَعْ هذا ولكنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يؤرّقني إذا ذهبَ العِشاءُ
٥- لِشعثاءَ التي قد تيّمته ... فليسَ لقلبه منها شِفاءُ
٦- كأنّ سبيئةً من بيتِ رأسٍ ... يكونُ مزاجُها عسلٌ وماءُ
٧- على أنيابها أو طعمَ غضٍّ ... من التفّاح هصّره الجَناءُ
٨- إذا ما الأشرباتُ ذُكِرْنَ يوماً ... فهنّ لطيبِ الرّاحِ الفِداءُ
٩- نوليّها الملامةَ إنْ ألَمْنا ... إذا ما كانَ مغثٌ أو لِحاءُ(٢)
١٠- ونشربُها فتتركنا ملوكاً ... وأُسْداً ما ينَهنهنا اللقاءُ(٣)

(☆) هو حسّان بن ثابت الأنصاري الخزرجي . ولد في يثرب (المدينة المنورة) قبل ميلاد الرسول ﷺ بنحو ثماني سنين ، وشبَّ في بيت كريم مصرفاً إلى الشعر واللهو . مدح ملوك الغساسنة واتصل بالمناذرة . دخل الإسلام وسنة ستون سنة ، وصار شاعر الرسول الذي يردُّ هجمات القرشيين المشركين ، وحظي بالتقدير حتى توفي نحو سنة ٥٤ هـ في خلافة معاوية .

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم سيّدنا رسول الله وأخوه من الرضاعة . كان من الشعراء المطبوعين ، وكان في جاهليته يؤذي السيّد الرسول ويهجوه ، ثم أسلم وحسن إسلامه .

(٢) يقول إن فرط منا من جرّاء شراب الراح ما نلام عليه ونجم بيننا شرّ وسباب أحلنا على الراح اللوم ، وهذا شأنها .

(٣) النهنهة : الكف . تقول نهنهت فلاناً إذا زجرته فتنهنه أي كفَّ وامتنع كأن أصله من النهي . قالوا : وهذا البيت آخر ما قاله حسّان من هذه القصيدة في الجاهلية . قال مصعب الزبيري : كان حسّان قد ابتدأ هذه القصيدة في الجاهلية ثم أكملها في الإسلام من عند قوله : عدمنا خيلنا إن لم تروها .

١١ـ عَـدِمْنـا خيلنـا إن لم تَروْهـا تثير النقـعَ مـوعـدُهـا كَـدَاءُ
١٢ـ يُبـارين الأعنَّـةَ مُصعـداتٍ على أكتـافهـا الأسَـلُ الظِّماءُ
١٣ـ تظـلُّ جيـادُنـا مُتمطِّراتٍ تُلطِّمهنَّ بـالْخُمُرِ النسـاءُ(١)
١٤ـ فـإمَّـا تُعرضـوا عنـا اعتمرنـا وكانَ الفتـحُ وانكشفَ الغِطـاءُ
١٥ـ وإلاَّ فـاصبروا لجِـلادِ يـومٍ يُعـزُّ الله فيـه مَنْ يَشـاءُ
١٦ـ وجبريـلٌ رسـولُ اللهِ فينـا وروحُ القـدس ليسَ لـه كِفَـاءُ(٢)
١٧ـ وقـالَ اللهُ قـد أرسلتُ عبـداً يقـولُ الحـقَّ إنْ نفـعَ البـلاءُ(٣)
١٨ـ شَهِـدْتُ بـه فقومـوا صدِّقـوه فقلتم لا نقـوم ولا نشـاءُ
١٩ـ وقـال اللهُ قـد سيَّرتُ جُنـداً هم الأنصـارُ عُرْضَتُهـا اللقـاءُ(٤)
٢٠ـ لنـا في كلِّ يـومٍ من مَعَـدٍّ سِبـابٌ أو قِتـالٌ أو هِجـاءُ(٥)
٢١ـ فنُحْكِمُ بـالقـوافي مَنْ هَجَـانـا ونضربُ حينَ تختلـطُ الـدِّمـاءُ
٢٢ـ ألا أبلِـغْ أبـا سفيـان عني فـأنت مجـوَّفٌ نَخِبٌ هَـواءُ(٦)

(١) جاء في اللسان ١٧٩/٥ : تمطَّرت الخيل ذهبت مسرعة وجاءت متطِّرة أي جاءت مسرعة يسبق بعضها بعضاً . وتلطِّمهن مزيد لطمه يلطمه لطماً ضرب خدّه أو صفحة خده بكفّ مفتوحة . والْخُمُر جمع خِمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها . يقول تبعتهم الخيل فتنبعث النساء يضربن خدود الخيل بخمرهن لتردّها .

(٢) روح القدس هو جبريل عليه السلام .

(٣) عبداً يعني سيِّدنا رسول الله ﷺ .

(٤) العرضة من قولهم بعير عرضة للسفر أي قوي عليه وفلان عرضة للشر قوي عليه . يريد أن الأنصار أقوياء على القتال همّتها وديدنها لقاء القروم الصناديد .

(٥) لنا يعني معشر الأنصار ، وقوله من معدّ يريد قريشاً لأنهم عدنانيون .

(٦) قوله مجوَّف يقال رجل مَجُوف ومُجَوَّف أي جبان لا قلب له كأنه خالي الجوف من الفؤاد ومثله النَّخب . وفي الأثر بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ومثله الهواء . قال تعالى : ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ أي نزعت أفئدتهم من أجوافهم خوفاً .

٢٣ـ بـأنَّ سيـوفَنـا تركَتْـكَ عبـداً وعبـد الـدار سـادتُهـا الإمـاءُ

٢٤ـ هجـوتَ محمَّـداً فـأجبتُ عنـه وعنـدَ الله في ذاكَ الْجَـزاءُ

٢٥ـ أتهجـوه ولستَ لـه بِكُفْءٍ فشرُّكما لخيركما الفِـداءُ

٢٦ـ هَجَـوْتَ مُبـاركاً بَرّاً حنيفـاً أمينَ اللهِ شيمَتُـهُ الـوفـاءُ

٢٧ـ فَمَنْ يهجـو رسـولَ اللهِ منكم ويمـدحُـهُ وينصُرُه سَـواءُ

٢٨ـ فـإنَّ أبي ووالـده وعرضي لعرضِ محمَّـدٍ منكم وِقـاءُ

٢٩ـ فـإمَّـا تثقفنَّ بنـو لـؤيّ جَـذيمَـةَ إنَّ قتلهُمُ شِفـاءُ

٣٠ـ أولئـك معشرٌ نَصروا علينـا ففي أظفـارنـا منهم دمـاءُ

٣١ـ وحلفُ الحـارث بن أبي ضرارٍ وحلفُ قُريظـةٍ منّـا بَراءُ

٣٢ـ لسـاني صـارمٌ لاعيبَ فيـه وبحري لاتكـدِّرُه الـدِّلاءُ

☆ ☆ ☆

شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري لعبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٩٢٩ م ، ص ١ ـ ١٠

-٢-

قال كعب بن زهير(☆) يمدح الرسول ﷺ :

١ـ بانَت سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبولُ ... متيَّمٌ إثرها لم يُجْزَ مكبولُ

٢ـ يسعى الوشاةُ بجنبيها وقولُهُم ... إنكَ يا بنَ أبي سُلْمى لمقتولُ(١)

٣ـ وقالَ كلُّ خليلٍ كنتُ آمُلُه ... لا أُلفِينَّكَ إنّي عنكَ مَشغولُ

٤ـ فقلتُ خَلُّوا طريقي لا أبا لكُمُ ... فكلُّ ما قدَّر الرَّحمنُ مفعولُ

٥ـ كلُّ ابنِ أُنثى وإنْ طالت سَلامتُهُ ... يوماً على آلةٍ حَدْباءَ مَحمولُ

٦ـ أُنبِئْتُ أنَّ رسولَ الله أوْعدني ... والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمولُ

٧ـ مَهْلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ ... ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

٨ـ لا تأْخُذَنّي بأقوالِ الوشاةِ ولم ... أُذْنِبْ ولو كثُرتْ عنّي الأقاويلُ

٩ـ لقد أقومُ مَقاماً لو يقومُ بهِ ... أرى وأسمعُ ما لو يسمعُ الفيلُ

١٠ـ لَظَلَّ يُرْعَدُ إلاّ أنْ يكونَ لهُ ... من الرسولِ بإذنِ الله تنويلُ

١١ـ حتَّى وضعتُ يميني لا أُنازِعُهُ ... في كفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ

١٢ـ لَذاكَ أهْيَبُ عندي إذ أُكلِّمُهُ ... وقيلَ إنَّكَ مسبورٌ ومسئولُ

١٣ـ مِنْ ضَيغمٍ من ضِراءِ الأُسْدِ مُخْدَرُه ... ببطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونَهُ غِيْلُ

(☆) هو كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى المُزَنِيّ ، نشأ في بيت شعر معروف في الجاهلية ، ولما جاء الإسلام أسلم أخوه بُجَير فغضب كعب لإسلامه وهجاه وهجا الرسول وأصحابه ، فتوعّده الرسول وأهدر دمه ، فضاقت عليه الأرض بعد أن امتنعت القبائل عن أن تجيره ، فاتجه إلى أبي بكر متوسلاً به إلى الرسول فجاءه تائباً ، وأنشده قصيدته الشهيرة « بانت سعاد » . له ديوان شعر جيّد وهو من المخضرمين المحول .

(١) ويروى : « جنابيها » أي حواليها . والضمير فيه راجع إلى سعاد ، أي إنَّ الوشاة يسعون إليها بوعيد رسول الله ﷺ إياه .

١٤ـ يَغْــدو فَيَلْحَمُ ضِرغــامين عيشُهما لحمٌ مِن القــوم مَعْفــورٌ خَراذيــلُ
١٥ـ إذا يُســاورُ قِرْنــاً لا يَحِــلُّ لــه أنْ يترك القِرْنَ إلا وهــو مَفلــولُ
١٦ـ منــه تَظَــلُّ حميرُ الـوحشِ ضامـزةً ولا تُمَشِّي بــواديــهِ الأراجيــلُ(١)
١٧ـ ولا يــزالُ بــواديــهِ أخــو ثِقَــةٍ مُطَرَّحُ البَزِّ والـدِّرسانِ مــأكولُ
١٨ـ إنَّ الرســولَ لسيفٌ يُسْتَضــاءُ بِــهِ مُهَنَّـــدٌ من سُيُــوفِ الله مسلــولُ
١٩ـ في عُصْبَــةٍ من قُرَيش قــالَ قــائلُهم ببطنِ مكَّــةَ لَمَّــا أسلمــوا زُولــوا
٢٠ـ زالُــوا فمــا زالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ عنـدَ اللِّقــاء ولا مِيـلٌ مَعَــازيـلُ
٢١ـ شُمُّ العَرَانينِ أبطـــالٌ لَبُــوسُهُمُ من نَسْـجِ داودَ في الهيجــا سَرابيــلُ
٢٢ـ بيضٌ سَوابـغُ قـد شُكَّت لهـا حَلَـقٌ كأنَّهــا حَلَـقُ القَفْعــاء مَجْـدولُ(٢)
٢٣ـ يمشـونَ مَشْيَ الجِمال الـزُّهر يعصِمُهم ضَرْبٌ إذا عرَّدَ السُّــود التنــابيــلُ
٢٤ـ لا يفرحــون إذا نــالتْ رِمــاحُهُمُ قومــاً وليســوا مَجَــازِيعــاً إذا نِيلُـوا
٢٥ـ لا يقـــعُ الطَّعنُ إلا في نُحـــورِهمُ ما إنْ لهم عن حِياضِ الموتِ تَهليلُ(٣)

☆ ☆ ☆

شرح ديوان كعب بن زهير صنعة السكّري ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب ١٩٥٠ ، ص ٦ ـ ٢٥

(١) يريد أن يصف هذا الأسد بأن الوحوش والرجال تهابه ، فالوحوش ساكنة من هيبته ، والرجال ممتنعة عن المشي بواديه .

(٢) بيض سوابغ : يعني الدروع أنها سابغة ضافية فضفاضة . وشُكّت : أُدخل بعضُ حلقها في بعض وسُمّرت ، فتشبّه حَلَقها بنَوْر القفعاء ، وهي شجرة لها ورق وثمر مثل حلق الدروع

(٣) تهليل : تكذيب ، يقال : هَلّل الرجل إذا جبُن في حملته . قال الأصمعي : لا يفِرّون ولا ينهزمون فيقع الطعنُ في أدبارهم .

-٣-

فلمّا تواقعَ القومُ بالقادسية ، نظرَ أبو مِحجن(☆) إلى النّاسِ قد قُتلوا فقالَ :

١ـ كفى حَزَناً أن تطعُنَ الخيلُ بالقنا ... وأصبحَ مشدوداً عليَّ وثاقيا

٢ـ إذا قمتُ عنّاني الحديدُ، وأُغلقَتْ ... مصارعُ من دوني تُصِمُّ المناديا

٣ـ وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... فأصبحتُ منهم واحداً، لاأخاليا

٤ـ وقد شفَّ جسمي أنني ، كلَّ شارقٍ ... أعالجُ كَبْلاً مُصمتاً قد براليا

٥ـ فللّه درّي يومَ أُتْرَكُ مُوثقاً ... وتَذْهَلُ عني أُسرتي ورجاليا

٦ـ حَبيساً عن الحربِ العَوَان وقد بَدَت ... وإعمالُ غيري يومَ ذاك العواليا

٧ـ أريني سلاحي ، لا أبا لكِ ، إنّني ... أرى الحربَ ماتزدادُ إلا تماديا

٨ـ ولله عهدٌ ، لاأخيسُ بعهده : ... لَئِنْ فُرِّجت ، ألا أزورَ الحوانيا

٩ـ فإن متُّ كانت حاجةً قد قضيتها ... وخلّفتُ «سعداً» وحدَه والأمانيا

وقالَ لامرأة سعد : « أطلقيني ، ولكِ عليَّ عهدُ الله وميثاقُه : لئِنْ فتحَ اللهُ على المسلمين ، وأنا حيٌّ لأرجعنَّ إلى مَحْبِسي » . فأطلقتْهُ . فركب فرساً بلقاءَ لِسعد . وخرجَ فشقَّ الصفوفَ مُقبلاً ومُدبراً . وأشرفَ سعدٌ من القصرِ فنظر ، فقالَ : « لولا أنَّ أبا مِحجن مقيّدٌ لقلت : إنَّ الفارسَ أبو محجن ، وهذه فرسي البلقاء » .

☆ ☆ ☆

أبو محجن الثقفي ، حياته ـ شعره ، دراسة وتحقيق محمود فاخوري ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية بجامعة حلب ، ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩

(☆) هو عمرو بن حبيب الثقفي ، أسلم سنة (٩) للهجرة وروى عدة أحاديث عن الرسول ﷺ . عرف بحبّه للخمرة ووصفها ، وقد حدّه عمر بن الخطاب في شربها مراراً ، لحق بجيش سعد بن أبي وقاص في فتح القادسية وأبلى أحسن البلاء . توفي سنة ٣٠ هـ .

وقالَ لما عادَ إلى مَحْبِسه :

١ ـ لقـــــــد عَلمتْ ثقيفٌ غيرَ فخرٍ بـأنّـا نحنُ أجـودُهـا سُيـوفـا
٢ ـ وأكثرُهـــا دروعـــاً ضـــافيـــاتٍ وأصبرُهـا إذا كرهـوا الـوقـوفـا[1]
٣ ـ وأنّـــــا رفـــــدُهم في كلِّ يـــومٍ فـإن غضبوا فَسَلْ رجـلاً عريفـا[2]
٤ ـ وليلـــــةَ قـــــادسٍ لم يشعروا بي ولم أُشْعِرْ بمخرجيَ الـزُّحـوفـا[3]
٥ ـ فـــإن أُحْبَس فـــذلكمْ بـلائي وإن أُترك أُذِيقُهمُ الْحُتـوفـا

☆ ☆ ☆

أبو محجن الثقفي ، حياته ـ شعره ، ص ١٩٥

(١) الدروع الضافية : الدروع الطويلة التامة .
(٢) الرفد : العطية والمساعدة . والعريف : العارف .
(٣) ليلة قادس : القادسية .

قالَ عمرو بن معديكرب الزُّبيدي(☆) :

١ - لِمَن الـدِّيـارُ بروضـة السُّلاَّنِ ... فـالرَّقْمتين فجـانب الصَّمَّـانِ(١)

٢ - لعبتْ بهـا هُـوجُ الرِّيـاح وبـدِّلتْ ... بعـدَ الأنيس مكانسَ الثيرانِ(٢)

٣ - فكأنَّ مـا أبْقَيْن مِن آيـاتهـا ... رَقْمٌ يُنَمَّـقُ بـالأكفِّ يَمَـاني(٣)

٤ - دارٌ لِعَمْرةَ إذ تُريـكَ مُفَلَّجـاً ... عَـذْبَ الْمَـذاقـةِ واضـحَ الألـوان(٤)

٥ - والأشعثُ الكنـدي حينَ سَمَـا لنـا ... من حَضْرَمَـوْتَ مُجنِّبَ الـذّكران(٥)

٦ - قـادَ الجيـادَ على وجَـاهَـا شُزَّبـاً ... قُبَّ البطـون نـواحـلَ الأبـدان(٦)

(☆) هو أبو ثَوْر عمرو بن معديكرب الزُّبيدي . نشأ في قومه زُبيد ضخم الجثة أكولاً لا تُلحظ عليه علامات السيادة ، إلى أن شنَّت قبيلة خثعم غارة شعواء على قبيلته فـأبلى في قتـالهـا بلاءً حسنـاً ، وسُمّي فـارس زُبيـد أسلم سنـة ٩ للهجرة وارتـدّ مـع المرتـدين زمن أبي بكر ، ثم أسر فتـاب وأسهم في الفتـوح وكان واحداً من أبطالها ، إذ شهد اليرموك والقادسية ويوم نهاوند . توفي سنة ٢١ هـ .

(١) السلان : أرض تهامة ممّا يلي اليمن ، وقيل : السلان وادٍ بإزاء حبل خَزَاز ، وهو ممّـا بين الحجـاز واليمن . الرقمتان : روضتان بناحية الصمّان ، والصمّان متاخم للدّهناء .

(٢) الريح الهوجاء : الشـديـد الهبوب ، وجمعهـا هُوج . الأنيس : من يُؤنَس بـه . المكانس : جمع مَكْنَس ، وهو مَوْلِج الوحش من الظباء والبقر تستكنّ فيه من الحرّ .

(٣) الآيات : العلامـات . الرَّقْم : ضرب مخطَّـط من الوشي ، وقيل من الخزّ ، أو ضرب من البرود . ينَّق : ينقش ويزيّن .

(٤) مفلَّجاً : نعت للثغر ، والفَلَج تباعد ما بين الأسنان .

(٥) الأشعث : ابن قيس الكنـدي ، وكانت مراد قتلت قيس بن معـديكرب فجـاء الأشعث ثـائراً بـأبيـه وخرجت كندة على ثلاث ألوية عليها كبس بن هانئ والقشعم أبو حبر والأشعث . فـأخطؤوا مراداً ولم يقعوا عليهـا ووقعـوا على بني الحـارث بن كعب ، فقتـل كبش والقشعم وأُسر الأشعث . ففُـدي بثـلاثـة آلاف بعير . سَما لنا : نهض لقتالنا ، كأنه ارتفع لينال مـا يطلبـه . مجنِّب الـذكران : من الْجَنَب ، وهو أن يَجْنُبَ فرساً خلف المركوب ، فإذا بلغ قرب الغاية تحوَّل إلى المجنوب .

(٦) الوجى : الْحَفا . شزّبا : جمع شازب وهو الضامر . قبّ البطون : ضوامرها .

٧ـ حتى إذا أسرى وأوّبَ دُوْنَنَـــــا ... من حَضرموت إلى قضيب يَمَـان[(١)]

٨ـ أضْحَى وقـد كانتْ عليـه بـلادُنـا ... محفـوفـــةً كحظيرةِ البستــــان

٩ـ فـدَعَــا فسـوَّمَهـــا وأيْقَنَ أنَّــه ... لا شـكَّ يـومُ تســايفٍ وطِعــان[(٢)]

١٠ـ لمـــا رأى الجمعُ المصبَّـحُ خيلَـهُ ... مبثــوثـــةً ككــواسرِ العِقبــان[(٣)]

١١ـ فَزعـوا إلى الْحُصُنِ الْمَـذَاكي عنـدهم ... وَسْطَ البيوت يَرُدْنَ في الأرسان[(٤)]

١٢ـ خيـلٌ مربَّطــةٌ على أعـلافهـــا ... يُقْفَيْنَ دونَ الحيِّ بـــالألبـــان[(٥)]

١٣ـ وَسَعَتْ نســاؤهُم بكلِّ مُفَــاضــةٍ ... جَـدْلاءَ ســابغـة وبـالأبـدان[(٦)]

١٤ـ فَقَـــذَفْنَهُنَّ على كهــولٍ ســـادةٍ ... وعلى شَرَامحـــــةٍ من الشبَّــــان[(٧)]

١٥ـ حتى إذا خَفَت الـدعــاءُ وصُرِّعتْ ... قتلى كمُنْقَعِرٍ من الغُـــــــلاَّن[(٨)]

١٦ـ نَشَـدوا البقيَّـةَ وافتـدَوا من وقعنـا ... بـالركض في الأدغـال والقِيعـان[(٩)]

---

(١) قضيب : وادٍ بين نجران والجوف ، من موارد بني الحارث بن كعب . التأويب . سير تمام النهار .

(٢) سوّمها : أعلمها بعلامة ، والضمير عائد إلى الجياد . التسايف : التضارب بالسيوف .

(٣) الجمع المصبّح : أي الذين صبّحهم العدو بالغارة . العُقاب الكاسر : هي التي تكسر جناحيها وتضمّها إذا أرادت السقوط .

(٤) المذاكي من الخيل : هي التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، الواحد مُذَكّ . يَرُدن (بفتح الياء وضمّ الراء) : يذهبن ويجئن .

(٥) يُقفين : يؤثرن ويكرمن .

(٦) المفاضة : الدرع الواسعة . جدلاء : محكمة النسج . سابغة : تامة . الأبدان : ج بَدَن ، وهي الدرع القصيرة .

(٧) الشرامحة : جمع الشرمحيّ والشّرمح ، وهو القويّ الطويل .

(٨) الغُلان : جمع غالّ ، نبات معروف . المنقعر : المنقلع من أصله .

(٩) أدغال الأرض : رقتها وبطونها والوطاء منها ، وستر الشجر دَغَل ، والقُفّ المرتفع والأكَمة دَغَل ، والوادي دَغَل ، والغائط الوطيء دَغل ، والجبال أدغال . القيعان : جمع قاع : وهي الأرض الواسعة المستوية .

١٧ ـ واستسلموا بعد القتال فإنّما يتربّقون تَرَبُّقَ الْحُمْلان[1]

١٨ ـ فأُصِيبَ في تسعينَ من أشرافهم أسرى مُصفَّدةً إلى الأذقان [2]

١٩ ـ فشتا وقاظَ رئيسُ كندة عندنا في غيرِ مَنْقَصةٍ وغيرِ هَوَان

٢٠ ـ والقادسيةُ حيثُ زاحمَ رُسْتَمٌ كنّا الْحُمَاةَ نهزٌّ كالأشطان[3]

٢١ ـ الضّاربين بكلِّ أبيضَ مِخْذَمٍ والطاعنينَ مجامعَ الأضغان[4]

٢٢ ـ قومٌ همو ضَربوا الجبابر إذ بَغَوا بالمشرفية من بني سَاسَان

٢٣ ـ حتى استُبيح قرى السَّواد وفارسٍ والسهلَ والأجبالَ من مُكران

☆ ☆ ☆

شعر عمرو بن معديكرب الزُّبيدي ، جَمَعه وحقّقه مطاع طرابيشي ، دمشق ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٨ ـ ١٦٣

---

(١) التربّق والارتباق : الوقوع في الربقة ، خيط يُشدّ به .

(٢) قال الأصمعيّ : كان فيمن غزا مع الأشعث بن قيس يومئذٍ من بني الحارث بن معاوية كبش بن هانئ والقشعم بن الأرقم وبنو فزارة ، فأسروا يومئذٍ مع الأشعث .

(٣) رُسْتَم : ضُبطت بفتح التاء ، الأشطان : جمع شَطَن ، وهو الحبل الطويل شبّه الرمح به .

(٤) المخذم : القاطع . الأضغان : الأحقاد ، ومجامع الأضغان كناية عن القلوب ، والبيت من الشواهد البلاغية المعروفة .

- ٥ -

قالَ القَعْقَاعُ بنُ عمرو يومَ نهاوند(☆) :

١ ـ رمى اللهُ مَنْ ذَمَّ العشيرةَ سـادِراً بـداهيـةٍ تبيَضُّ منهـا المقـادِمُ(١)

٢ ـ فَدَعْ عنكَ لومي ، لا تَلُمني ، فإنَّني أحـوطُ حَريمي والعـدوَّ المـوائِمُ(٢)

٣ ـ فنحنُ وَرَدْنا في (نهاوندَ) مَوْرِداً صَدَدْنا بـه والجمعُ حَرَّانُ داحِمُ(٣)

٤ ـ ونحنُ حَبَسْنا في نهاوندَ خيلنا لِشرِّ ليالٍ أُنْتِجت للأعاجِمُ(٤)

٥ ـ مَلأْنا شِعاباً في نهاوندَ منهمُ رِجالاً وخَيلاً أُضْرِمت بالضَّرائِمُ(٥)

٦ ـ وراكَضَهُنَّ الفَيْرَزانُ على الصَّفا فلمْ يُنْجِهِ منها انفساحُ المخارِمُ(٦)

٧ ـ ألا أبلغْ أُسَيْداً حيثُ سارت ويَمَّمَتْ بِما لَقِيت منَّا جموعَ الزَّمازِمُ(٧)

(☆) هو القعقاع بن عمرو التيمي . ترعرع في المدينة المنورة فتىً ، ولا يُعرف شيء عن مولده ونشأته الأولى . شارك في حروب الردّة قائداً من قوّاد أبي بكر فنال النصر حتى قال فيه أبو بكر : « لا يُهزم جيش فيه مثل القعقاع » . كما شارك في فتح العراق والشام وأبلى في الجهاد بلاءً حسناً . شهد مع الإمام علي موقعة الجمل ، وسكن الكوفة . وليس في المصادر تاريخ محدّد لوفاته .

(١) السادر : الذي لا يهتمّ ولا يبالي ما يصنع . الداهية : المصيبة . المقادم : الرؤوس .

(٢) أحوط : أصون . الموائم : المسالم .

(٣) حَرَّان : فيه حرارة . داحم : من دحم بمعنى دفع .

(٤) أُنتجت : أُنتجت الناقة أي حانَ وقت نتاجها : أي ولادتها . ونتاج الليالي هو المصائب .

(٥) الشِّعاب : جمع شِعب ، وهو ما انفرج بين الجبلين . أُضرمت الخيل : أُسرع جريها .

(٦) راكضهن : سابقهن يريد الهرب . الصفا : جمع الصفاة : وهي الحجر الصخم الصلد الذي لا ينبت عليه شيء . المخارم : الطرق .

(٧) أُسيد : قوم من العرب . يمّمت : قصدت . الزمازم : الأصوات البعيدة التي لها دويّ وتتابع كصوت الرعد .

٨ـ غداةَ هَوَوا في (وايَ خُرْدَ) فـأصبحوا تعـودُهُم شُهْبُ النُّسـور القشـاعمْ[١]
٩ـ قَتَلنـاهم حتَّى مَـلأنـا شِعـابَهُمْ وقـد أُفعِمَ اللِّهبُ الـذي بـالصرائمْ[٢]

☆ ☆ ☆

معجم البلدان ليـاقـوت ، دار صـادر ودار بيروت ، ١٩٥٥ م مـادة (نهـاونـد) ومـادة (واي خرد) . وشعر الفتـوح الإسلاميـة في صـدر الإسلام للنعمان عبـد المتعـال القـاضي ، الـدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣١

---

(١) واي خرد : اسم الخندق الـذي سقـط فيـه الفرس في أثنـاء هربهم . تعـودُهم : تـزورهم . شُهب : جمع أشهب : وهو الأبيض الذي يخالط بياضه سواد . القشاعم : جمع قشعم . وهو المسنّ من النسور .
(٢) أفعم : امتلأ . اللهب : الوادي . الصرائم : جمع الصريمة ، وهي الأرض التي حصد زرعها .

-٦-

قالَ الحطيئة(*) يهجو الزبرقان بن بدر[١] :

١ ـ مـا كان ذَنْبُ بغيضٍ، لاأبَـا لكُم	في بائسٍ جاءَ يحدو آخرَ النَّاس[٢] ؟
٢ ـ لقـد مَرَيتُكم لـو أنَّ دِرَّتكم	يوماً يجيءُ بها مَسْحي وإبساسي[٣]
٣ ـ وقـد مَـدَحْتُكم عَمْـداً لأُرشِـدَكم	كيما يكون لكُم مَتْحي وإمراسي[٤]
٤ ـ فما مَلَكْتُ بـأنْ كانت نفـوسُكُم	كفـاركٍ كرهت ثـوبي وإلبـاسي[٥]
٥ ـ لمَّـا بَـدَا لي منكُم غيبُ أنفسكم	ولم يكن لجراحي فيكُمُ آسِ[٦]
٦ ـ أزْمَعْتُ يـأساً مُبينـاً من نـوالكُمُ	ولن ترى طـارداً للحرِّ كاليـاس[٧]

(*) هو جَرْول بن أوس ، يُنسب إلى عبس ولكنَّ نسبه لم يثبت . نشأ وضيعاً حاقداً كارهاً للناس ، لـذلـك شاع الهجاء في شعره ، ولم يسلم منه أحد من قرابته حتَّى نفسَهُ هَجَاها . ولما جاء الإسلام أسلم لكنَّه كان رقيق الدين . هجا الزبرقان بن بدر وغيره فحبسه عمر بن الخطاب وهدَّده بقطع لسانه ، ثم اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولكنَّه نكث وأوغل في هجاء الناس بعد موت عمر . توفي سنة ٥٩ هـ .

(١) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي ، صحابيٌ من رؤساء قومه . قيل اسمه الحصين ، ولقب لجمال وجهه بالزبرقان (وهو من أسماء القمر) ، ولاَّه رسول الله ﷺ صدقات قومه فثبت إلى زمان عمر . وكفَّ بصره في آخر عمره . كان فصيحاً شاعراً .

(٢) بغيض : اسم الرجل الذي نزل عنده الحطيئة بعد تركه آل الزبرقان . لاأبا لكم : شتيمة البائس أراد به نفسه . يحدو آخر الناس : يريد أنه رجل مسكين .

(٣) مريتكم : مسحت ضرعكم . شبههم بالناقة التي يمسح ضرعها لتدرّ لبناً . والدرة : اللبن . الإبساس : صوت تسكن به الناقة عند الحلب يقول : بس بس .

(٤) المتح : نزع الدلو من البئر . الإمراس : رد الحبل إلى البكرة .

(٥) الفارك : الزوجة التي تكره قرب زوجها منها .

(٦) غيب أنفسكم : ما كنتم تضمرونه لي من الكراهية . الآسي : الطبيب .

(٧) أزمعت : قرَّرت . الياس : هو اليأس .

٧ـ مـا كانَ ذنبُ بغيضٍ أنْ رأى رجلاً ذا فاقةٍ عـاشَ في مُسْتوعِرٍ شَـاس[١]
٨ـ جـارٌ لقـومٍ أطـالـوا هُـونَ منزلِـهِ وغـادروه مقيمـاً بين أرمـاس[٢]
٩ـ ملُّـوا قِراهُ وهرَّتـه كِـلابُهُمُ وجرَّحـوهُ بـأنيـابٍ وأضراس[٣]
١٠ـ دَعِ المكارِمَ لا ترحـلْ لبُغْيتِهـا واقعدْ، فإنَّك أنتَ الطـاعِمُ الكاسي[٤]
١١ـ سيري، أُمـامُ، فـإنَّ الأكثرين حصىً والأكرمين أبـاً من آلِ شمَّـاس[٥]
١٢ـ مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يعـدمْ جـوازيَـهُ لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والنَّاس[٦]
١٣ـ مـا كان ذَنْبِيَ أنْ فلَّتْ معـاوِلَكُمْ من آل لأيٍ صَفـاةٌ أصلُهـا راسِ[٧]
١٤ـ قد نـاضلوكَ فَسَلُّوا من كِنانتهم مَجـداً تليـداً ونَبْـلاً غيرَ أنكاسِ[٨]

☆ ☆ ☆

ديوان الحطيئة، تحقيق نعمان أمين طه، البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٨، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤

---

(١) فاقة: فقر، الشاس: هو الشأس المكان المرتفع الوعر.
(٢) جار لقوم: أراد بالجار نفسه، وبالقوم آل الزبرقان. الهون: الهوان والذل. الأرماس: القبور.
(٣) القِرى: إكرام الضيف. هرَّته: نبحته. وهذا دليل بخلهم، لأن كلب البخيل الذي لم يألف الزوار ينبحهم.
(٤) لبغيتها: لطلبها. الطاعم: الآكل. الكاسي: من عليه كسوة. وقد جاء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول ولهذا عُدَّ هجاء.
(٥) أُمامُ: مرخَّم أمامة. وهي زوج الشاعر. حصىً: عدداً. شمَّاس: هو ابن لأي.
(٦) جوازيه: مكافآته.
(٧) فلَّت: كسرت. صفاة: صخرة ملساء قاسية. راسٍ: اسم فاعل من رسا. آل لأي: هو لأي بن أنف الناقة بن قريع التيمي. وكان بنو أنف الناقة يُعيَّرون باسمهم، إلى أن قال الحطيئة في مدحهم:
قـوم هم الأنف والأذنـاب غيرهم ومن يساوي بـأنف النـاقـة الـذنبـا
فأصبح اسمهم مدعاة فخر لهم.
(٨) ناضلوك: نافسوك. ويريد بالمنافسين آل شماس. الكنانة: جعبة السهام. المجد التليد: المجد القديم. الأنكاس: جمع نكس وهو السهم الذي انكسر فقلب وجعل أسفله أعلاه.

-٧-

وقال لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه :

١ - يـا أيُّهـا الْمَلِـكُ، الّـذي أمسَتْ لـهُ ... بُصرَى، وغـزَّةُ: سَهلُها والأجرَعُ[١]

٢ - أشكـو إليـكَ، فـأشكني، ذُرِّيَّـةً ... لا يَشبعـونَ، وأُمُّهم لا تَشبَـعُ

٣ - كثُرُوا عليَّ، فـلا يَمـوتُ كبيرُهم ... حتّى الحِسـاب، ولا الصَّغيرُ الْمُرضَعُ

٤ - فبُعِثتَ للشُّعراء مَبعثَ داحسٍ ... أو كالبَسُوس، عِقـالُهـا يَتكـوَّعُ[٢]

٥ - ومَنَعتَني شَتمَ البخيـل، فلم يَخفْ ... شَتمي، فـأصبحَ آمِنـاً، لا يَفـزَعُ

٦ - وأخـذتَ أطرارَ الكـلام، فلم تَـدَعْ ... شَتماً يَضرُّ، ولا مَـديحـاً يَنفـعُ[٣]

٧ - وبُعِثتَ للـدُّنيـا، تجمّـعُ مَـالَهـا ... وتَصُرُّ جِـزيَتَهـا، ودَأبـاً تَجمـعُ

٨ - ومَنعتَ نفسـكَ فَضلَهـا، ومَنحتَهـا ... أهلَ الفَعـال، فـأنتَ خيرٌ، مُـولَعُ

٩ - حتّى يجيءَ إليـكَ عِلـجٌ نـارحٌ ... فيُصيبَ عَفـوَتَهـا، وعَبـدٌ أوْكَـعُ[٤]

١٠ - والعَيلـةُ الضَّعفى، ومَن لا خيرُه ... خَيرٌ، ومِثلُهُمُ، غُثـاءٌ، أجمـعُ

١١ - أُمٌّ زَعمتَ، لهم، ومـاتتْ أُمُّهم ... في عهـد عـادٍ، حينَ مـات التُّبَّـعُ

١٢ - فليُـوشِكَنَّ، وأنتَ -تـزعم- أُمُّهم ... أنْ يركبـوك بثِقْلِهم، أو يَرضَعُـوا

١٣ - وأرَى الـذين حَـوَوا تُراثَ محمَّـدٍ ... أفلَتْ نجـومُهُمُ، ونجمُـكَ يَسطَـعُ

ديوان الحطيئة، ص ٢١٠ - ٢١٣

---

(١) الأجرع : الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

(٢) البسوس : امرأة من بني سعد بن زيد مناة هاجت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة . والعقال : حبل يشد به . ويتكوع : يتثنى . وقيل : البسوس ناقة أصابها رجل من العرب في ضرعها فقتلها فقامت الحرب بسببها ، وصارت مثلاً في الشؤم .

(٣) الأطرار : النواحي .

(٤) عفوتها : خيارها وما صفا منها . والأوكع : الذي ركبت إبهام رجله على السبابة .

قالَ سُحَيم عبد بني الْحَسْحَاس (☆) :

١ ـ عُمَيْرةَ ودِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غـاديـا   كَفَى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا
٢ ـ جُنُونـاً بهـا فيما اعتشرنـا عُـلاَلَـةً   عَـلاقـةَ حبٍّ مُسْتَسِرّاً وبـاديـا
٣ ـ ليـاليَ تصطـادُ القلوبَ بفـاحمٍ   تَرَاه أثِيثـاً نـاعمَ النَّبت عـافيـا
٤ ـ وجيـدٍ كجيـدِ الرّيم ليسَ بعـاطلٍ   مِن الدُّرّ والياقوتِ والشَّذْر حَـاليـا
٥ ـ كأنَّ الثُّريـا عُلِّقت فـوقَ نحرهـا   وجَمْرَ غَضَىً هَبَّتْ له الرّيحَ ذاكيا
٦ ـ إذا انـدفَعَتْ في رَيْطـةٍ وخميصـةٍ   ولاَثَتْ بـأعلى الرِّدف بُرْداً يَمَـانيـا
٧ ـ تُرِيـكَ غَـداةَ البينِ كفّـاً ومِعْصَماً   ووجهـاً كـدينـار الأعـزّة صـافيـا
٨ ـ فَمَـا بيضـةٌ بـاتَ الظليمُ يَحُفُّهـا   ويرفـعُ عنهـا جُـؤجُـؤاً مُتَجَـافِيـا
٩ ـ ويَجعلُهـا بينَ الجنـاح ودفِّـه   ويُفْرِشُها وَحْفاً من الزِّفِّ وافيـا(١)
١٠ ـ فَيَرفـعُ عنهـا وهيَ بيضـاءُ طَلَّـةٌ   وقد واجهت قَرْناً من الشَّمس ضاحيا
١١ ـ بـأحسنَ منهـا يـومَ قـالت أراحِـلٌ   مـعَ الرَّكْبِ أمْ ثـاوٍ لـدينـا لياليـا
١٢ ـ فإنْ تثوِ لا تُمْلَلْ وإنْ تُضْحِ غاديـا   تُـزَوَّدْ وترجِـعْ عن عُمَيرةَ راضيـا
١٣ ـ ومَنْ يَـكُ لا يبقى على النـأي وُدُّه   فقـد زَوَّدَتْ زاداً عُميرةُ بـاقيـا
١٤ ـ ألِكْني إليهـا عَمْرَك اللهَ يـافتىً   بـآيـةِ مـا جـاءتْ إلينـا تَهَـادِيـا
١٥ ـ تَهَـادِيَ سَيْلٍ في أبـاطـحَ سَهْلَـةٍ   إذا مـا عـلا صَمْـداً تفرَّعَ واديـا

(☆) هو سُحَيم عبد بني الحسحاس يكنى أبا عبد الله ، أدرك النبي ﷺ وقد تمثّل بشيء من قصيدته الشهيرة « عميرة ودّع » . كان كثير التشبيب بالنساء وله مغامرات كثيرة معهن ، ويمثّل تيار الغزل الصريح الفاحش في الحجاز ، قتل في خلافة عثمان ، أي قبل سنة ٣٥ هـ ، وفي مقتله روايات وأخبار كثيرة .

(١) الزفّ : الريش . والوحف : الكثير الأسود .

١٦ ـ فَفَاءَتْ ولم تقضِ الذي هو أهلُهُ ومِنْ حاجةِ الإنسان ماليسَ لاقيا
١٧ ـ وبِتْنا وِسادانا إلى عَلْجانةٍ وحِقْفٍ تَهاداه الرِّياحُ تَهادِيا[1]
١٨ ـ سَقتني على لوحٍ مِن الماءِ شَرْبةً سَقاها بها اللهُ الذِّهابَ الغَواديا
١٩ ـ أُقبِّلُها للجانبين وأتَّقِي بها الرِّيحَ والشَّفَّانَ مِنْ عَن شمائليا
٢٠ ـ ألا أيُّها الوادي الذي ضَمَّ سيلُهُ إلينا نَوَى الحسناءِ حُيِّيتَ واديا
٢١ ـ فَيَا ليتني والعامريةَ نلتقي نَرودُ لأهْلينا الرِّياضَ الخواليا
٢٢ ـ ومَا بَرِحَتْ بالدَّيْرِ منها أثارةٌ وبالجوِّ حتَّى دمَّنتْه لياليا
٢٣ ـ فإن تُقْبلي بالوُدِّ أُقبلْ بمثلِهِ وإنْ تُدْبري أذْهَبْ إلى حالِ باليا
٢٤ ـ ألمْ تَعلمي أنِّي صَرُومٌ مواصِلٌ إذا لم يكُنْ شيءٌ لِشيءٍ مُوَاتيا
٢٥ ـ ألا نادِ في آثارِهِنَّ الغوانيا سُقِينَ سِماماً ما لَهُنَّ وماليا
٢٦ ـ تَجَمَّعْنَ مِنْ شتَّى ثلاثٍ وأربعٍ وواحدةٍ حتَّى كَمَلْنَ ثمانيا
٢٧ ـ وأقْبَلْنَ من أقصى الخيام يَعُدْنَني نواهدَ لم يَعْرِفْنَ خَلْقاً سَوائيا
٢٨ ـ يَعُدْنَ مريضاً هُنَّ هيَّجْنَ داءَهُ ألا إنَّما بَعْضُ العَوائِدِ دائيا
٢٩ ـ وَرَاهُنَّ ربِّي مثلَ ماقَدْ وَرَيْنَني وأحْمَى على أكبادِهِنَّ المَكاويا

☆ ☆ ☆

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠ ، ص ١٦ ـ ٢٤

---

(١) العلجانة : شجرة تنبت في الرمال . والحقف : حبل من الرمل محقوقف أي معوج تهاداه الرياح : تنقله من موضع إلى موضع .

-٩-

قالَ جرير(☆) من طريف غزله الذي استرسل فيه مع نفسه ووجده وذكرياته ، في شعر طويل عذب ، وهيام عنيف ، كاد ينسيه غرضه الأول هجاء الأخطل الذي من أجله ساقَ هذا الشّعر الغزلي الرقيق :

١ـ بانَ الخليطُ ولو طووِعتَ ما بانا ... وقطَّعوا من حبالِ الوصلِ أقرانا(١)

٢ـ حَيِّ المنازل إذْ لا نبتغي بَدَلاً ... بالدّار داراً وبالجيرانِ جيرانا

٣ـ قد كنتُ في أثر الأظعان ذا طربٍ ... مُروَّعاً من حِذار البين مِحْزانا(٢)

٤ـ يا رُبَّ مكتئبٍ لو قد نُعيتُ لَهُ ... باكٍ وآخرَ مسرورٍ بمنعانا

٥ـ لو تَعلمين الذي نلقى أوَيتِ لنا ... أو تسمعينَ إلى ذي العرش شكوانا

٦ـ كصاحبِ الموج إذ مَالت سفينتُه ... يدعو إلى الله إسراراً وإعلانا

٧ـ يا أيُّها الراكبُ المزجي مِطيّتَهُ ... بلِّغْ تحيّتنا لُقِّيتَ حُملانا(٣)

٨ـ بلِّغْ رسائلَ عنّا خفَّ مَحْمَلُها ... عَلى قلائصَ لم يَحْمِلْنَ حيرانا(٤)

٩ـ كيما نقولُ إذا بلَّغتَ حاجتنا ... أنتَ الأمينُ إذا مُسْتأمَنٌ خانا

١٠ـ يا ليتَ ذا القلب لاقى مَنْ يعلِّله ... أو ساقياً فسقَاهُ اليومَ سُلوانا

(☆) هو أبو حَزْرة جرير بن عطية بن الْخَطَفَى التميمي . ولد في اليمامة سنة ٢٩ هـ ، ونشأ في البادية ، وصار ينزل في البصرة قاصداً الأمراء والولاة . مدح الحجّاج وخلفاء بني أمية على الرغم من أنَّ هواه كان قيسياً ميّالاً إلى ابن الزبير . برع في الهجاء والغزل ، وأخرس ـ كما قيل ـ ثمانين شاعراً . وبقي يهاجي الفرزدق نحواً من أربعين سنة . توفي سنة ١١٤ هـ ، بعد الفرزدق بنحو ستة أشهر .

(١) بان : فارق . الخليط : الشريك أو الزوج .

(٢) الأظعان : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج . والمحزان : كثير الحزن .

(٣) أزجى مطيته : ساقها . لُقِّيت حُملاناً : رزقك الله ما يحملك .

(٤) القلائص : جمع قلوص وهي الناقة الطويلة القوائم الشابة القوية على السير . والحيران : جمع حوار وهو ولد الناقة ساعة تضعه يريد أنهن لم ينتجن .

١١ـ أوليتهـــا لم تُعلّقنـــا عَـلاقتَهــــا ... ولم يكن داخـلُ الحبِّ الـذي كانـــا
١٢ـ هَــلاَّ تحرَّجتِ ممَّــا تفعلينَ بنــــا ... يا أطيبَ النَّاس يوم الدَّجْن أردانا[١]
١٣ـ قــالتْ أَلِمَّ بنــا إن كُنتَ مُنطلقــاً ... ولا إخـالُـكَ بعـدَ اليـوم تلقـانـــا
١٤ـ يا طَيِّبَ هل مِن متـاعٍ تُمْتِعين بـهِ ... ضيفاً لكم باكِراً يا طَيِّبَ عجلانــا[٢]
١٥ـ مـا كنتُ أوّل مشتـاقٍ أخي طَرَبٍ ... هاجَتْ له غـدَواتُ البين أحزانـا[٣]
١٦ـ يــــا أُمَّ عمرٍو جَـزاكِ اللهُ مغفرةً ... رُدِّي عليَّ فـؤادي كالـــذي كانـــا
١٧ـ ألستِ أحسنَ مَنْ يمشي على قَـــدمٍ ... يا أملحَ النَّاس كلِّ النـاسِ إنسـانـا
١٨ـ لقـــد كَتمتُ الهـوى حتَّى تهيَّمني ... لا أستطيـعُ لِهــذا الحبِّ كِتمانـــا
١٩ـ كادَ الهــــوى يـــومَ سُلْمانين يقتلُني ... وكادَ يقتلُني يـومـاً ببيــدانــــا[٤]
٢٠ـ وكادَ يـــومَ لِـــوا حـــوّاءَ يقتلُني ... لو كنتُ من زَفَراتِ البينِ قُرحانـا[٥]
٢١ـ لا بـــــارَكَ اللهُ فيمن كان يحسِبُكم ... إلاَّ على العهـد حتَّى كانَ مـا كانـــا
٢٢ـ مِنْ حُبِّكم فـاعلمي لِلْحُبِّ منزلـــةً ... نَهْوَى أميرَكُم لـو كان يَهـوانـــا[٦]
٢٣ـ لا باركَ اللهُ في الدُّنيـا إذا انقطعت ... أسبابُ دُنياكِ من أسبابِ دُنيانـا[٧]

---

(١) الـدجن : الغيم والمطر . ويشير بطيب أردانها يوم المطر إلى أنها لا تخرج من بيتها والأردان : جمع ردن وهو طرف الثوب .

(٢) يا طيب : أي يا طيبة وحذف التاء على الترخيم . وعجلان : عجول وهي صفة لضيف .

(٣) الطرب : هنا بمعنى الحزن وهو من الأضداد . وأصله خفّة تصيب الإنسان .

(٤) سلمانين : موضع . بيدان : ماء لبني جعفر .

(٥) القرحان : يقـال أنت قرحـان من الأمر وقراحي : حـارجٌ ، ويطلق كـذلـك على الخليّ ومَن لم يشهـد الحرب ومن مَسّه القروح . اللوا : متقطع الرمل . وحوّاء : ماء من نواحي اليمامة .

(٦) الأمير : القيّم .

(٧) أسباب : حبـال ، والمراد بها أواصر الصلة بين المحبّين .

٢٤ـ أَبُـدِّلَ الليـلُ لا تَسري كـواكبُـهُ	أمْ طالَ حتَّى حسِبْتُ النجم حَيرانـا
٢٥ـ إنَّ العيـونَ التي في طرفهـا مَرَضٌ	قتَلْننـــا ثمَّ لم يُحْيين قتـلانـــا
٢٦ـ يَصْرَعْن ذا اللبِّ حتَّى لا حَراك بهِ	وهُنَّ أضعفُ خلـق الله إنسـانـا(١)
٢٧ـ يـا رُبَّ غـابطنـا لـو كان يطلبُكُم	لاقى مبـاعَـدَةً مِنكم وحِرمـــانــا
٢٨ـ طـارَ الفؤادُ مع الْخَـوْد التي طَرَقت	في النَّوم طيِّبةَ الأعطاف مِبْدانـا(٢)
٢٩ـ مثلوجـةَ الريق بعـدَ النَّوم واضعـةً	عن ذي مَثَانٍ تَمُجُّ المِسكَ والبانا(٣)
٣٠ـ تَسْتـافُ بـالعَنْبرِ الهنـديّ قـاطعـةً	هَمَّ الضَّجيع فـلا دُنيـا كـدنيـانـا(٤)
٣١ـ بتنـا نَرانـا كأنَّـا مـالكونَ لنـا	يـا لَيْتَهـا صـدَّقَتْ بـالحقّ رؤيـانا
٣٢ـ قـالتْ تَعَزَّ فـإنَّ القـومَ قـد جَعلـوا	دُونَ الـزِّيـارة أبـوابـاً وخُــزّانــا
٣٣ـ لَمَّـا تبيَّنْتُ أنْ قـد حِيْـلَ دُونَهُمُ	ظَلَّتْ عساكِرُ مثلُ الموت تَغْشانا(٥)
٣٤ـ يـا حَبَّـذا جبلُ الريَّـان مِنْ جَبَـلٍ	وحبَّـذا سـاكِنُ الريَّـان مَنْ كانـا
٣٥ـ وحَبَّـذا نَفَحـاتٌ من يَمَـانيــةٍ	تأتيكَ مِنْ قِبَلِ الريَّان أحيـانـا(٦)
٣٦ـ هَبَّت شَمالاً فـذِكرى مـا ذكرتُكُم	عِنـدَ الصَّفاة التي شَرقيّ حَوْرانـا(٧)

(١) رُوِيَ : أركانا وهي الجوانب .

(٢) الْخَوْدُ : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . والطرق : الإتيان بالليل . الْمِبْدان : طيِّبة البدن .

(٣) المثاني : القرون المثنية بعضها على بعض وهي ذوائب الشعر .

(٤) استاف : اشتم .

(٥) العساكر : الظلمة والشدة .

(٦) نفحـات : هبـات الريح ووقعـاتها . والريّـان : جبـل في ديـار طيِّئ غـزير المـاء . واليمانيـة : ريـاح الجنوب . وقيل الريان ٠ جهته .

(٧) الصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وحوران : دمشق على التوسع وهي إقليم على الجانب الآخر من نهر الأردن . وجبل حوران يسمى اليوم جبل الدروز نسبة إلى سكانه الحاليِّين ، وهو أعلى جبل في إقليم شرق الأردن إذ يبلغ ارتفاعه ستة آلاف قدم .

٣٧ـ هَلْ يرجِعَنَّ وليسَ الدّهرُ مُرْتَجعاً عيشٌ بها طالما احلولى ومَا لانا
٣٨ـ أزمانَ يدعُونني الشيطانَ مِن غزلي وكُنَّ يَهوينني إذْ كُنتُ شيطانا

☆ ☆ ☆

شرح ديوان جرير، جمعه وشرحه محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ص ٥٩٣ ـ ٥٩٧

-١٠-

وقالَ يهجو الأخطل :

١ - أجِـدَّكَ لا يَصحـو الفـؤادُ الْمُعَــذَّلُ ... وقد لاحَ مِن شَيبِ عِـذارٌ ومِسْحَلُ[١]

٢ - ألا ليت أنَّ الظَّاعنينَ بـذي الغَضى ... أقـامـوا، وأنَّ الآخرينَ تَحَمَّلـوا

٣ - فيـا أيُّهـا الوادي الـذي بـانَ أهلُـهُ ... فســاكِنُ واديهم حَمامٌ، ودُخَّـلُ[٢]

٤ - لَمَنْ راقَبَ الجوزاءَ، أو بـاتَ ليلَـهُ ... طويـلٌ، لَلَيلي بـالْمَجـازةِ أطـولُ

٥ - بَكى دَوْبَــلٌ، لا يُرقئِ اللهُ دَمعَــهُ ... ألا، إنمـا يَبكي مِن الــذُّلِّ دَوبـلُ[٣]

٦ - جَزعتَ ابنَ ذاتِ الفَلْسِ لَمَّا تَداركتْ ... مِن الحرب، أنيابٌ عليكَ، وكَلكَلُ[٤]

٧ - سَرَى نحـوَكم ليـلٌ، كأنَّ نُجـومَـهُ ... مَصـابيحُ، فيهنَّ الـذُّبـالُ الْمُفتَّلُ[٥]

٨ - لقــد قتـلَ الجحَّــافُ أزواجَ نِسـوةٍ ... يَفُوتُ ابنُ خَلاَّسٍ بهنَّ، وعزْهَـلُ[٦]

٩ - تقولُ لك الثَّكلَى الْمُصابُ حَميمُها : ... أبا مالكٍ، ما في الظعائنِ مغْزَلُ[٧] !

١٠ - فمـا زالتِ القَتلَى تَمُجُّ دِمـاءَهـا ... بدجلةَ، حتَّى ماءُ دِجلـةَ أشكَلُ[٨]

١١ - بـدجلـةَ، إنْ كَرُّوا فقَيسٌ وراءَهم ... صُفوفاً، وإنْ رَامُوا الْمَخاضةَ أوحلُوا

---

(١) العذار : ما سال على الخدّ من اللحية . والمسحل : الصّدغ .

(٢) الدّخّل : ضرب من الطير .

(٣) دوبل : لقب الأخطل لقّبته به امرأة أبيه . والدوبل : الحمار الصغير .

(٤) الطابع من الرصاص تختم به رقاب أهل الذمّة .

(٥) الليل : الجيش الكثير السواد . والذبال . جمع ذبالة وهي الفتيلة .

(٦) الجحّاف : هو الجحّاف بن حكيم من قادة قيس ، وكان أغار على تغلب وأوقع بها موقعة مشهورة هي موقعة البشر .

(٧) المغزل : العزل .

(٨) الأشكل : الذي تخالطه الحمرة .

١٢ ـ فإلاّ تَعَلَّقْ، مِن قريشٍ، بذِمَّةٍ　　فليس على أسيافِ قيسٍ مُعَوَّلُ[(١)]
١٣ ـ لنا الفَضلُ في الدُّنيا، وأنفكَ راغمٌ　　ونحن لكم، يومَ القيامةِ، أفضلُ[(٢)]
١٤ ـ وقد شَقَّقَتْ يومَ الرَّحوبِ سيُوفُنا　　عَواتقَ، لم يَثبُتْ عليهنّ مِحْمَلُ[(٣)]
١٥ ـ أجارَ بنو مروانَ مِنهم دِماءَكم　　فَمَن مِن بني مروانَ أعلَى، وأفضلُ؟

☆ ☆ ☆

نقائض جرير والأخطل، ص٦٤ـ٦٩، وشرح ديوان جرير للصاوي، ص ٤٥٥ ـ ٤٥٧، مع بعض الاختلاف في الرواية .

---

(١) المعوّل: الاعتماد والتعويل. يريد بذلك أن سيوفهم لا يؤمن جانبها .
(٢) لكم أي منكم .
(٣) العواتق: جمع عاتق وهو ما بين المنكب والعنق. والمحمل: محمل السيف .

قال الفرزدق(☆) يفخر، ويهجو جريراً :

١- إنّ الذي سَمَكَ السّماء بَنى لنا | بيتاً دعائِمُه أعزُّ وأطولُ(١)
٢- بيتاً بناه لنا المليكُ وما بَنى | حَكَمُ السّماء فإنّه لا يُنْقَلُ(٢)
٣- بيتاً زُرارةُ محتبٍ بفنائِه | ومُجاشعٌ وأبو الفوارس نَهْشَلُ(٣)
٤- يَلجون بَيْتَ مجاشعٍ وإذا احتَبَوا | بَرَزوا كأنّهم الجبالُ الْمُثَّلُ(٤)
٥- ضَرَبَت عليك العنكبوتُ بنسجها | وقَضَى عليك به الكتابُ الْمُنزلُ(٥)
٦- أحلامُنا تَزنُ الجبالَ رزانةً | وتخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَلُ(٦)
٧- فادفَعْ بكفّك إن أردت بناءَنا | ثَهْلانَ ذا الهضبات هل يتحلحلُ(٧)
٨- يابنَ المراغة أينَ خالُكَ؟ إنني | خالي حُبَيش ذو الفعال الأفضلُ(٨)
٩- خالي الذي غَصَبَ الملوكَ نفوسَهم | وإليه كان حِباءُ جفنةَ يُنْقَلُ(٩)

(☆) هو أبو فراس همّام بن غالب التميمي، ولد سنة ١٩ هـ ونشأ في البصرة فصيحاً شاعراً مجيداً. اتصل ببني أمية ومدح خلفاءهم على الرغم من تشيّعه الذي كان يستره. أظهر مرة هواه لعليّ بن الحسين فحبسه هشام بن عبد الملك. استعر الهجاء بينه وبين جرير طيلة عمره، وكان فارساً من فرسان النقائض. توفي سنة ١١٤ ورثاه جرير.

(١) سمك السماء: رَفَعها.

(٢) المليك وحكم السماء: الله جلّ شأنه.

(٣) زرارة ومجاشع ونهشل: أولاد دارم بن مالك، قوم الفرزدق. محتب بفنائه: قد اشتمل بالثوب في جلسة الوقور بفناء داره.

(٤) الاحتباء: أنْ يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بثوب أو نحوه. الْمُثّل: المنتصبة الراسخة.

(٥) ضربت عليك العنكبوت: يريد أنّ بيت جرير واهن ذليل كخيوط بيت العنكبوت.

(٦) أحلامنا: عقولنا. نجهل: نغضب ونثور.

(٧) ثهلان: جبل بنجد. يتحلحل: يزول ويتحرك.

(٨، ٩) المراغة: الأتان، وهو لقب نُبزت به أمّ جرير. حبيش بن دارم: خال الفرزدق وكان قد أسر =

١٠ - وشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكرام ومـا بنَوا   إنَّ اللئيم عن المكارمِ يُشْغَـــــلُ

فأجابه جرير بأبيات يهجوه فيها وينقض فخره ، منها :

١ - أعـددتُ للشُّعراء سُمّـاً نـاقعـاً   فسقيت آخرَهم بكأسِ الأول[١]

٢ - لمـــا وَضَعْت على الفرزدق مِيسمي   وضَغَا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخطل[٢]

٣ - أخزى الـذي سمكَ السَّماء مجاشعاً   وبَنَى بناءَك في الحضيض الأسفلِ[٣]

٤ - ولقـــد بَنَيْتَ أخسَّ بيتٍ يُبْتَنى   فهـدمتُ بيتكُمُ بِمِثْلي يَـذْبُـل[٤]

٥ - إنّي بَنَى لي في المكارم أوّلي   ونفختَ كيرك في الزمـان الأوّل[٥]

٦ - إنّي انصببتُ من السَّماء عليكُمُ   حتّى اختطفتك يا فرزدقُ من علِ[٦]

٧ - أحـلامُنـا تـزنُ الجبـالَ رزانـةً   ويفـوقُ جـاهِلنـا فِعـالَ الْجُهَّـل

٨ - فـارجـعْ إلى حَكَمَي قريشٍ إنَّهم   أهـلُ النبـوة والكتـاب المنزل[٧]

٩ - كان الفرزدقُ إذ يعـوذ بخـالِـه   مِثْلَ الـذليل يعوذُ تحت القَرْمَـل[٨]

= عمرو بن الحارث أحد ملوك الغساسنة ، وجذ ناصيته ، واشترط عليه أن يبعث إليه بجزية من المال كلَّ عام حتّى يموت .

(١) السم الناقع : القاتل .

(٢) الميسم : المكواة والمراد الأهاجي . ضغا : ذلَّ . جَدَع : قطع .

(٣) أخزى : أذلّ . الحضيض : أسفل الجبل .

(٤) أخسّ : أدنأ . يَذْبُل : جبل بنجد .

(٥) الكير : منفاخ الحداد .

(٦) عل : أعلى .

(٧) حكما قريش : هاشم وعبد مناف . الكتاب المنزل : القرآن .

(٨) القرمل : شجر ضعيف لا ورق له .

١٠ ـ إنّ الـذي سمـكَ السّماء بنى لنـا　　عِـزّاً عَـلاك فمـالـهُ من مَنْقَـلِ[١]
١١ ـ أبلـغْ بني وقبـانَ أنّ حلـومَهُمْ　　خفَّت فـلا يَـزِنـون حَبّة خَرْدلِ[٢]
١٢ ـ ألهى أبـاك عن المكارم والعُـلا　　ليُّ الكتـائفِ وارتفـاع المِرْجَـلِ[٣]

☆ ☆ ☆

شرح ديوان جرير، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٧، وجرير لمحمد إبراهيم جمعة، سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥، ص ١٠٨ ـ ١٠٩

نقائض جرير والفرزدق، ليدن، ١٩٠٥، ١٨٢/١

---

(١) علاك : قهرك . منقل : تحول وانتقال .
(٢) بنو وقبان : مجاشع قوم الفرزدق . خفَّت : طاشت . الخردل : أخف الحبوب وزناً .
(٣) ليّ الكتائف : ثني الحديد أو فتل الحبال . المرجل : القدر .

قالَ الفرزدقُ يهجو إبليسَ ويعلنُ توبته[١] :

١ - ألم تَرَني عـاهـدْتُ ربِّي وإنَّني ... لَبَيْنَ رِتـاجٍ قـائمٌ ومَقَـام[٢]
٢ - على حَلفـةٍ لا أشتمُ الـدَّهرَ مسلماً ... ولا خـارجاً مِن فِيَّ زُورُ كَـلام[٣]
٣ - ألم تَرَني والشِّعرَ أصبـحَ بيننـا ... دُروءٌ مِن الإسـلام ذاتُ حَـوام[٤]
٤ - أطعتُـك يـا إبليسُ سبعين حِجَّـةً ... فلَمَّـا انتهى شَيبي وتمَّ تمـامي[٥]
٥ - رَجَعتُ إلى ربِّي وأيقنتُ أنَّني ... مُـلاقٍ لأيَّـامِ المنـونِ حِمَـامي
٦ - فكم من قُرونٍ قد أطاعوكَ أصبحوا ... أحـاديثَ كانـوا في ظِـلالِ غَمامِ[٦]
٧ - ومـا أنتَ يـا إبليسُ بـالمرءِ أبتغي ... رِضـاهُ، ولا يقتـادُني بِـزِمـامِ

☆ ☆ ☆

ديوان الفرزدق ، جمعه عبد الله الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ٧٦٩/٢

---

(١) كان الفرزدق قد دخل المربد في آخر عمره ، فلقي رجلاً من موالي باهلة ومعه زق من سمن يبيعه ، فسامه الفرزدق به ، فقال : أدفعه إليك وتهب لي أعراض قومي ، ففعل وقال القصيدة .

(٢) الرتاج : باب الكعبة ، والمقام : مقام إبراهيم .

(٣) على حلفة : أي على قسم .

(٤) دروء : موانع ، وأصلها كسور الطريق ، والحوامي : ج حامية وهي الحجارة .

(٥) الحجّة : السنة . تمّ تمامي : بلغت أجلي ونهايتي .

(٦) القرون ج قرن وهو أهل زمان واحد . أصبحوا أحاديث : مضوا وصاروا أخباراً .

-١٣-

قالَ الأخطل(☆) يمدحُ عبدَ الملك بنَ مروان(١) :

١ـ خَفَّ القطينُ، فراحُوا منكَ، أو بكَرُوا وأزعجتهم نَوىً، في صَرْفِها غِيَرُ(٢)
٢ـ كأنّني شَارِبٌ، يومَ استُبِدَّ بهمْ مِن قَرْقَفٍ، ضُمِّنَتْها حِمصُ، أو جَدَرُ(٣)
٣ـ جَادَتْ بها، من ذَواتِ القارِ، مُتْرَعةٌ كلفاءُ، يَنْحَتُّ عن خُرْطُومِها الْمَدَرُ(٤)
٤ـ لَذٌّ، أصابَتْ حُمَيَّاها مَقَاتِلَهُ فلم تَكَدْ تَنْجلي عن قَلْبِهِ الْخُمَرُ(٥)
٥ـ كأنّني ذاك، أو ذو لوعةٍ، خَبَلَتْ أوْصَالَهُ، أو أصابَتْ قَلْبَهُ النُّشَرُ(٦)
٦ـ شوقاً إليهم، ووَجْداً، يومَ أُتْبِعُهُم طَرْفي، ومِنْهُمْ، بجَنْبي كوكبٍ، زُمَرُ(٧)

(☆) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في تغلب نصرانياً وظلّ على دينه مع أنه صار شاعر بني أمية . هجا الأنصار بتحريض من يزيد بن معاوية . ثم طارت شهرته واستعمله بنو أمية مدافعاً عنهم وعن حلفهم القبلي والسياسي . خاض معارك السياسة وأخلص الأمويين أحسن مدائحه . أسهم في النقائض منافحاً عن اليمنيه واستعر الهجاء بينه وبين جرير الذي بزّه ، وكان الأخطل شيخاً فلم يثبت لجرير . توفي سنة ٩٢ هـ .

(١) زعم الأخطل أنه أفنى في نظم هذه القصيدة حولاً وما بلغ بها كلَّ ماأراد .

(٢) خفَّ : أسرع . والقطين : المجاورون . وأزعجتهم : أشخصتهم . والنوى : الوجهة التي يقصدون . والصرف : التقلب . والغير : التغيّر .

(٣) استبدّ بهم : غُلب عليهم وذُهب بهم . والقرقف : الخمرة التي ترعد صاحبها . وحمص وجدر : موضعان بالشام .

(٤) المترعة : الخابية المملوءة . وذوات القار : المطلية بالزفت . والكلفاء : التي في لونها كلف وهو بين السواد والحمرة . وينحتُّ المدر : يُفضُّ ختام الخابية من الطين . والخرطوم : أول ما ينزل من الخمر .

(٥) حُمَيَّا الخمرة : شدّتها وصالبها .

(٦) خبلت : أفسدت . والأوصال : المفاصل أو الأعضاء . واحدها وصل . والنشر : جمع نشرة وهي التعويذة والرُّقية .

(٧) كوكب : رابية بالخابور . والزمر : الجماعات . واحدها زمرة .

٧ـ حَثُّوا الْمَطِيَّ، فَوَلَّتْنَا مناكِبَهَا وفي الْخُدُور، إذا باغَمْتَهَا، الصُّوَرُ[(١)]
٨ـ يُبْرِقْنَ للقـــوم، حتَّى يَخْتَبِلْنَهُمُ ورأيُهُنَّ ضعيفٌ، حينَ يُخْتَبَرُ[(٢)]
٩ـ يا قـاتلَ اللهُ وَصْلَ الغـانيات، إذا أيْقَنَّ أنَّك مِمَّن قد زَهَا الكِبَرُ[(٣)]
١٠ـ أعْرَضْنَ لَمَّا حَنَى قَوسي مُوتِّرُهَا وابيضَّ، بعدَ سوادِ اللِّمَّةِ، الشَّعَرُ[(٤)]
١١ـ مـا يَرْعَـوِينَ إلى داعٍ لِحـاجتِـهِ ولا لَهُنَّ، إلى ذي شَيْبَـةٍ، وَطَرُ[(٥)]
١٢ـ شَرَّقْنَ إذْ عَصَرَ العِيـدانَ بـارِحُهـا وأيْبَسَتْ، غيرَ مجرى السِّنَّة، الْخُضَرُ[(٦)]
١٣ـ فـالعَينُ عـانيةٌ بـالمـاءِ، تسْفَحُـهُ من نِيَّـةٍ، في تَـلاقي أهلِهـا ضَرَرُ[(٧)]
١٤ـ مُنْقَضِبِيْنَ انقضـابَ الحبل، يَتْبَعُهُمْ بَيْنَ الشَّقيق وعَيْنِ الْمَقْسِمِ البَصَرُ[(٨)]
١٥ـ في نَبْعةٍ، مِن قُريش، يَعْصِبُون بها ما إنْ يُوازى بأعلى نَبتها الشَّجَرُ[(٩)]
١٦ـ تَعلو الهضـابَ، وحَلُّوا في أرومتها أهلُ الرِّباء، وأهلُ الفَخر، إنْ فَخَروا[(١٠)]
١٧ـ حُشْدٌ على الحقِّ، عيَّافو الخنا، أُنُفٌ إذا أَلَمَّت بهم مكروهـةٌ صَبَروا[(١١)]

---

(١) المطي : الإبل التي تمتطى . والصُّور : الدّمى .
(٢) ويروى : « يحتبلنهم » اي : يلقينهم في الحبالة . ويختبلنهم : يخدعنهم ويفسدن قلوبهم .
(٣) أراد بقوله : « قاتل الله » التعجب لا الدعاء .
(٤) القوس : الظهر المنحنية . وموتّرها : الله عزَّ وجلَّ . واللِّمة : الشّعر المجتمع .
(٥) يرعوي : يعطف . والوطر : الحاجة .
(٦) عصر العيدان : أيبسها . والبارح : الريح الباردة . وأراد بمجرى السنة : الزرع ، وهو آخر ما يجفّ .
(٧) أي : في تلاقيهم ضيق ، لا يستطيعون أن يلتقوا لكثرتهم .
(٨) عين المقسم : بئر في ذلك الموضع . يريد أن التشقيق واحد الشقائق . وقيل إن التشقيق اسم رجل .
(٩) يعصبون بها أي : يجتمعون حولها . والنّبعة : ضرب من التجر ، وهي أجوده .
(١٠) حَلّوا : نزلوا . والأرومة : الأصل . والرِّباء : العدد والكثرة .
(١١) الحشد : المتحاشدون . وأصل الحشد بضم الشين فخفف . وهو جمع حَشِد . والعيّاف : الشديد الكره . والخنا : الفحش . والأُنُف : جمع أنوف وأنِف .

١٨ - وإنْ تَـدجَّت على الآفـاق مظلمـةٌ كانَ لهم مخرجٌ مِنهـــا، ومُعْتَصَرُ[١]
١٩ - أعطـاهُمُ اللهُ جَـدّاً، يُنْصَرون بـِـهِ لا جَـدَّ إلاَّ صغيرٌ، بَعْـدُ، مُحْتَقَرُ[٢]
٢٠ - لم يَـأْشَرُوا فيـهِ إذْ كانُـوا مـواليَـهُ ولو يكونُ لِقـومٍ، غيرهم، أشِرُوا[٣]
٢١ - شُمْسُ العَـداوةِ، حتَّى يُسْتَقـادَ لَهُمْ وأعظمُ النَّاسِ أحلاماً، إذا قَدَرُوا[٤]
٢٢ - لا يَسْتَقِـلُّ ذَوو الأضغـانِ حَرْبَهُمُ ولا يُبَيَّنُ في عِيْـــدانِهم خَــوَرُ[٥]
٢٣ - هم الـذين يُبـارُون الرِّيـاحَ، إذا قَلَّ الطَّعامُ على العـافِينَ، أو قَتَروا[٦]
٢٤ - بَنِي أُميَّـةَ، نُعْمَـــاكُمْ مُجَلِّلَـــةٌ تَمَّتْ، فلا مِنَّـةٌ فيهـا، ولا كَـدَرُ[٧]
٢٥ - بني أُميَّـةَ، قـد نـاضلتُ دونَكُمُ أبنـاءَ قومٍ، هُمُ آوَوْا، وهُمْ نَصَروا[٨]
٢٦ - أفْحَمتُ عنكم بني النَّجّار، قَدْ علِمَتْ عُلْيَا مَعَـدٍّ، وكانوا طـالَما هَـدَرُوا[٩]
٢٧ - حتَّى استكانوا وهُمْ مِنِّي على مَضَضٍ والقـولُ ينفُـذُ مـا لا تَنفُـذُ الإبَرُ[١٠]
٢٨ - بني أُميَّـــةَ، إنِّي نـــاصِـحٌ لكُمُ فـــلا يَبيتنَّ فيكم آمِنـــاً زُفَرُ[١١]
٢٩ - واتَّخِـذُوهُ عـدوّاً، إنَّ شـاهِـدَهُ ومـــا تغيَّبَ، من أخـلاقِـهِ، دَعَرُ

(١) تدجت : أظلمت . والمعتصر : الملجأ . يقول : إذا وتن الناس كان المدوحون غياثهم وملجأهم الذي إليه يفرّون .
(٢) الْجَدّ : الحظّ .
(٣) أشر : بَطِر . والموالي : الأولياء .
(٤) الشُّمس : جمع شموس وهو الصَّعب العَسِر .
(٥) يستقل : يطيق . والأضغان : الأحقاد . ويبيّن : يظهر ويبدو . والْخَوَر : الضعف .
(٦) العافون : جمع عافٍ وهو طالب الخير والعطاء . وقتروا : أصابهم إقلال من الماء .
(٧) المجلّلة : العامة الشاملة , والكدر : التنغيص .
(٨) أراد بالقوم : الأنصار .
(٩) أفحمته : أسكتّه وقطعته عن قول الشعر .
(١٠) المضض : الوجع .
(١١) زفر ، هو زفر بن الحارث زعيم قيس وعدو تغلب والأمويين . وكان قد دخل فى طاعة عبد الملك بن مروان .

٣٠ـ إنَّ الضَّغينةَ تلقاها وإن قَدُمَتْ، كالعَرِّ، يكْمُنُ حيناً، ثمَّ يَنْتشرُ[١]

٣١ـ وقد نُصِرْتَ، أميرَ المؤمنين، بنا لَمَّا أتاكَ ببطنِ الغُوطةِ الْخَبَرُ[٢]

٣٢ـ يُعَرِّفُونك رأسَ ابنِ الْحُبَاب، وقد أضْحَى، وللسَّيفِ في خَيْشُومِهِ أثَرُ[٣]

٣٣ـ لا يَسْمَعُ الصَّوتَ، مُسْتَكّاً مَسَامِعُهُ وليسَ ينطِقُ، حتَّى ينطِقَ الْحَجَرُ[٤]

٣٤ـ أمْسَت إلى جانبِ الْحَشَّاكِ جيفتُهُ ورأسُهُ دُونَهُ اليحمُومُ، والصُّوَرُ[٥]

٣٥ـ يسألُهُ الصُّبْرُ من غَسَّانَ، إذْ حَضَروا، والْحَزْنُ: كيفَ قَراكَ الغِلمةُ الْجَشَرُ[٦]

٣٦ـ والحارثَ بن أبي عوف، لَعِبْنَ بهِ حتَّى تَعَاوَرَه العِقبانُ، والسُّبَرُ[٧]

٣٧ـ وقيسَ عَيلانَ، حتَّى أقبلوا رَقَصاً فَبَايَعُوكَ جِهاراً، بعدَ ما كفَرُوا[٨]

٣٨ـ فلا هَدَى اللهُ قَيْساً من ضَلالتهم ولا لعاً لبني ذَكْوان إذْ عَثَروا[٩]

٣٩ـ ضَجُّوا من الحربِ، إذْ عَضَّت غواربَهُم وقَيْسُ عَيلانَ، من أخلاقِها الضَّجَرُ[١٠]

---

(١) العَرّ: الجرب.

(٢) الخبر: خبر مقتل عمير بن الحباب. ولما انتهى الأخطل في الإنشاد إلى هذا البيت قال له عبد الملك: بل الله أيّدني. لكن قيساً ما لبثت أن نكّلت بتغلب انتقاماً لفارسها عمير بن الحباب.

(٣) الخيشوم: أعلى الأنف.

(٤) المستكّ: الأصمّ.

(٥) الحشاك واليحموم والصور: أسماء مواضع.

(٦) «الجشر»: الذين يعزبون في إبلهم. رجلٌ جاشر، وقوم جَشْر وجُشَّار. وكان عُمير يقول: إنما بنو تغلب جَشَر لي، آخذ منهم ما شئت. فلمّا مرُّوا برأسه على هؤلاء القبائل قالوا: كيف رأيتَ قِرى غلمتك الْجَشَر؟ مستهزئين به. و«الْحَزْن»: معاوية بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد. و«الصُّبْر»: قبائل منها عمرو بن الحارث من الأزد، وهي قبائل بالشام من غسَّان، مرُّوا برأس عُمير عليهم.

(٧) تعاوره: تنازعه وتداوله.

(٨) الرَّقص: السرعة في الجري. وكفروا أي: جحدوا خلافتك. يشير إلى دخول قيس في طاعة عبد الملك.

(٩) لالعاً أي: لا أقامهم الله من عثرتهم.

(١٠) الغوارب: جمع غارب وهو أعلى الكتف.

٤٠ـ كانـوا ذوي إمَّــةٍ، حتّى إذا عَلِقَتْ ... بهم حبائلُ للشَّيطـان، وابتَهَرُوا[١]

٤١ـ صُكُّوا على شارِفٍ، صَعْبٍ مَراكِبُها ... حَصَّاءَ، ليسَ لها هُلْبٌ، ولا وَبَرُ[٢]

٤٢ـ ولم يَـزَلْ بِسُلَيمٍ أمْرُ جـاهِلِهـا ... حتَّى تَعَيَّا بها الإيرادُ، والصَّدَرُ[٣]

٤٣ـ إذْ يَنظرون، وهُمْ يَجنون حَنْظلهم، ... إلى الزَّوابي، فقُلْنا: بُعْدَ مـا نَظَروا[٤]

٤٤ـ كَرُّوا إلى حَرَّتيهم، يعمُرونَها ... كما تكُرُّ إلى أوطـانِهـا البَقَرُ[٥]

٤٥ـ فـأصْبَحَتْ مِنهُمُ سِنجـارُ خـاليـةً ... فالْمَحْلَبيَّاتُ، فالخـابُورُ فـالسُّرَرُ[٦]

٤٦ـ ومـا يُـلاقـون فَرَّاصـاً إلى نَسَبٍ ... حتَّى يُلاقي جَـدْيَ الفرقَـدِ القَمَرُ[٧]

٤٧ـ ولا الضِّبـابَ، إذا اخضرَّتْ عيونُهُمُ ... ولا عُصَيَّـــةَ، إلا أنَّهم بَشَرُ[٨]

٤٨ـ ومـا سَعَى مِنهُمُ سـاعٍ، لِيُـدْرِكَنَـا ... إلاَّ تقـاصرَ عنَّـا، وهُـوَ مُنْبهرُ[٩]

٤٩ـ وقـد أصـابَتْ كِلاباً من عَـداوتِنـا ... إحدى الدَّواهي التي تُخْشى، وتُنْتَظرُ

٥٠ـ وقـد تَفـاقَمَ أمرٌ، غيرُ ملتئمٍ ... مـا بيننـا فيـه أرحـامٌ، ولا عِـذَرُ[١٠]

---

(١) الابتهار: قذف الإنسان بالباطل، والإمَّة: النعمة.

(٢) الشارف: الناقة الكبيرة الهرمة. والحصَّاء: التي لا وَبَرَ لها. والهُلْب: شعر الذنب.

(٣) أراد بجاهل سليم: عُمير بن الحُباب. وتعيَّابها: اشتدَّ فعَجَزَت عنه. والإيراد: الورود. والصَّدَر: الرجوع.

(٤) استعار الحنظل لما جنته الحرب. وقيل: الحنظل هو ما تجنيه سليم في ديارها. والزوابي: أنهار في الجزيرة مفردها الزابي وهو الزاب. يقول: طمعوا فينا في ديارنا فما أبعد ما نظروا.

(٥) حرَّة بني سليم هي أم صبَّار. ويقال: إنها شرُّ مكان بالبادية. وجعلها الأخطل مثنىً.

(٦) سنجار والمحلبيات والخابور والسرر: مواضع في الجزيرة.

(٧) جَدْي الفرقد: نجم يدور مع بنات نعش ولا ينزل به القمر أبداً.

(٨) اخضرَّت: اسودَّت.

(٩) المنبهر: المعيي. يقال: انبهر إذا انقطع نَفَسه وتتابع من الإعياء.

(١٠) تفاقم: اشتد اختلافه وفسد. والملتئم: المتفق المجتمع. والأرحام: الأنساب. والعذر: المعاذير. وهي جمع عذرة.

٥١ـ أمــا كُلَيْبُ بنُ يَرْبُــوعٍ فليسَ لَهُمْ عِنْــدَ المكارمِ لا وِرْدٌ، ولا صَــدَرُ[١]
٥٢ـ مُخَلَّفُــون، ويَقضي النَّــاسُ أمْرَهُمُ وهُمْ بغَيْبٍ، وفي عَمياءَ، ما شَعَرُوا[٢]
٥٣ـ مُلَطَّمُــون بــأعقــارِ الحيــاض، فَمَــا يَنْفَــكُّ، من دارميٍّ، فيهم، أثَرُ[٣]
٥٤ـ بئسَ الصَّحــاةُ، وبئسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ إذا جرى فيهمِ المُــزَّاءُ، والسَّكَرُ[٤]
٥٥ـ قَــوْمٌ تَنــاهَتْ إليهم كلُّ فــاحِشَــةٍ وكلُّ مُخْــزِيَــةٍ، سُبَّتْ بِهَــا مُضَرُ
٥٦ـ على العِيارات هَدَّاجُونَ، قد بَلَغَتْ نجرانَ، أو حُدِّثَتْ سوءاتِهم هَجَرُ[٥]
٥٧ـ الآكِلُــونَ، خبيثَ الــزَّادِ وحْــدَهُمُ والسائِلُونَ بظهرِ الغَيْبِ: ما الخَبرُ[٦]؟
٥٨ـ ومــا غُــدانَــةُ في شيءٍ، مكانَهُمُ، ألحابسو الشَّــاءِ، حتَّى تفضُلَ السُّؤرُ[٧]
٥٩ـ يَتَّصلُــون بيربُــوعٍ، ورِفْـــدُهُمُ عنــدَ التَّرافُــدِ مغمُــورٌ، ومُحْتَقَرُ
٦٠ـ قــد أقْسَم المجــدُ حقّــاً لا يُحــالِفُهُمْ حتَّى يُحــالِفَ بطنَ الرَّاحــةِ الشَّعَرُ

☆ ☆ ☆

شعر الأخطل ، صنعة السكّري ، تحقيق د . فخر الدين قباوة ، دار الأصمعي بحلب ، د . ت ، ١٩٢/١ ـ ٢١١

---

(١) كليب بن يربوع : رهط جرير .
(٢) الغيب : ما غابَ من الأرض وتطامن . والعمياء : الجهالة .
(٣) الأعقار : جمع عقر وهو مقام الشاربة من الحوض ، وهو أقصى الحوض حيث تضع الإبل أخفافها .
(٤) المزاء : شراب رديء لأنه آخذ في حدّ الحموضة . والشَّرْب : جماعة الشاربين . والسَّكَر : ضرب من الأشربة .
(٥) العيارات : جمع عير وهو الحمار . ونجران : اسم موضع باليمن . وسوءاتهم : فضائحهم . وهَجَر : موضع في البحرين .
(٦) خبيث الزاد : أي : لحم اليرابيع والضباب .
(٧) السُّؤر : جمع سؤر وهو ما يفضل في الإناء أو الحوض . يقول : هم أذلاء لا يستطيعون أن يسقوا شاءهم حتى يشرب الأقوياء ، وإنما يسقون مما أفضل الأشراف .

قالَ الكُمَيت(☆) :

١ـ طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ	ولا لعباً منّي وذو الشوق يَلْعَبُ(١)
٢ـ ولم يُلْهِني دارٌ ولا رسمُ مَنزلٍ	ولم يَتَطَرَّبْني بَنَانٌ مُخضَّبُ(٢)
٣ـ ولا أنا ممّن يزجُرُ الطَّيْرَ همُّهُ	أصاحَ غُرَابٌ أم تعرّض ثَعْلَبُ(٣)
٤ـ ولا السانحاتُ البارحات عشيَّةً	أمرَّ سليمُ القرنِ أمْ مَرَّ أعضبُ(٤)
٥ـ ولكنْ إلى أهل الفضائل والنُّهى	وخيرِ بني حوّاء والخيرُ يُطْلَب(٥)
٦ـ إلى النَّفر البيض الذين بِحُبِّهم	إلى الله فيما نالني أتقرَّبُ

(☆) هو الكُمَيت بن زيد الأسدي ، ولد سنة ٦٠ هـ ونشأ في الكوفة شاعراً فصيحاً عالماً بأيام العرب وأنسابها وأخبارها . احترف تعليم الصبيان في مسجد الكوفة . كان متشيعاً واشتهر بقصائد مطولة دعيت بالهاشميات . أسهم الكميت في المهاجاة بين اليمانية والقيسية ، وكان مدافعاً عن آل عليّ وشيعته ومضر كلّها . توفي سنة ١٢٦ هـ .

(١) الطرب : خفّة تعتري عند شدة الفرح أو الحزن أو الهمّ ، البيض : المراد بها النساء الحسان ، ويريد بالبياض هنا نقاء اللون من الكلف والسواد . وتقول العرب أيضاً : فلان أبيض تشير إلى أنه نقي العرض من الدّنس والعيوب .

(٢) تطرب وأطرب واحد . البنان : الأصابع ، وقيل أطرافها . واحدتها بنانة ، مخضّب بالحناء .

(٣) الزجر : المنع والنهي ، والزجر : أن تزجر طيراً أو ظبياً سانحاً أو بارحاً فتتطير منه وقد نُهي عن الطيرة ، والثعلب : من السباع معروف ، والأنثى ثعلبة ، تعرّض الثعلب في طريقه : أي تعوج وزاغ ولم يستقم في السير .

(٤) السانح من الظباء والطير الذي يجيء من يسارك فيوليك ميامنه ، والبارح ما يجيء من يمينك فيوليك مياسره . وأهل الحجاز يتشاءمون بالسانح ، وأهل نجد يتشاءمون بالبارح . سليم القرن :الذي يتيمن به . والأعضب : المكسور أحد القرنين وهو مما يتشاءم به .

(٥) يقول : لم أطرب شوقاً إلى البيض الحسان ، ولم يُلهني البَنان المخضّب ، ولكن طربي إلى أهل الفضل والشرف وهم بنو هاشم .

٧ـ بني هاشم رهطِ النَّبي فإنَّني | بهم ولهُم أرضى مِراراً وأغضَبُ[(١)]
٨ـ خَفَضْتُ لهم منّي جناحَيْ مودةٍ | إلى كَنَفٍ عِطْفاه أهلٌ ومَرْحَبُ
٩ـ وكنتُ لهم مِن هؤلاكَ وهؤلا | مِجَنّاً على أنّي أُذَمُّ وأُقْصَبُ[(٢)]
١٠ـ وأُرْمَى وأرْمي بالعداوة أهلَها | وإني لأُؤذى فيهم وأُؤَنَّب[(٣)]
١١ـ بأيِّ كتابٍ أم بأيةِ سُنّةٍ | تَرَى حُبَّهُم عاراً عليَّ وتَحْسِب[(٤)]
١٢ـ فما لِيَ إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ | وما لِيَ إلا مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَب[(٥)]
١٣ـ ومَنْ غَيْرَهم أرضى لنفسيَ شيعةً | ومَنْ بَعْدَهُم لا مَن أُجِلُّ وأرْجَب[(٦)]
١٤ـ إليكم ذوي آل النَّبي تطلَّعَت | نوازعُ من قلبي ظِماءٌ وألْبُبُ[(٧)]
١٥ـ فإني عن الأمر الذي تكرهُونَه | بقولي وفعلي ما استطعتُ لأجْنَبُ
١٦ـ يشيرون بالأيدي إليَّ وقولُهُم | ألا خابَ هذا والمشيرون أخْيَبُ
١٧ـ فطائفةٌ قد كفَّرتني بحُبِّكم | وطائفةٌ قالوا مُسيءٌ ومُذْنِب[(٨)]

(١) هاشم بن عبد مناف وهو جدّ الرسول ﷺ ، ومنه تفرّعت بنو هاشم .

(٢) لهم : أي لبني هاشم . مجناً : أي أدافع عنهم بلساني مثل المِجَنّ ؛ وهو الترس وقوله من هؤلاك وهؤلا : إشارة إلى من ناصب علياً العداء من الخوارج . أُقصب أي أُشتم .

(٣) أُرمى : أي يرمونني بالعداوة ، وأرمي أنا أهل العداوة باللوم والسخافة . أُودى : أي أسمع ما يؤذيني . أُؤنّب : من التأنيب : التوبيخ .

(٤) بأيِّ كتاب أنزل من عند الله ، أم بأية سنة أتى بها الرسول تدلّك على أنّ حبّ آل البيت وتمجيدهم عار وضلال .

(٥) الشيعة : الأولياء والأنصار . المشعب : الطريق ، ومشعب الحق : طريقه المفرّق بين الحق والباطل .

(٦) أرجب : أهاب وأعظم .

(٧) ذوي آل النّبي : يعني أصحابهم والعلماء وأهل الرأي فيهم . تطلعت : أي اشتاقت . نوازع : جمع نازع ومنه نزع الإنسان إلى أهله ، والبعير إلى وطنه : حنّ ، وكلّ حانٍّ إلى وطنه فهو نازع إليه . ظِماء : عطاش ، ألبب : جمع لبّ وهو العقل . (أي حنّت إليكم القلوب ، وتعطشت لفضائلكم العقول) .

(٨) فطائفة أي من الخوارج الذين يخطئون علياً : من مذهبها تكفير من يميل لآل البيت . وطائفة تفسقه وتجعله عاصياً مذنباً .

١٨ـ فما سَـاءَني تكفيرُ هـاتيـك منهُم ... ولا عيبُ هـاتيـك التي هي أعْيَبُ
١٩ـ يَعيبـونَني من خبِّهم وضَـلالهم ... على حُبِّكم بل يَسْخَرونَ وأعْجَب[١]
٢٠ـ وقـالـوا تُرابيٌّ هَـواه ورأيُـه ... بـذلـك أُدْعَى فيهُم وأُلقَّب[٢]
٢١ـ على ذاكَ إجْرِيَّـايَ فيكُم ضَريبتي ... ولـو جَمَعُـوا طُرّاً عليَّ وأجْلَبُـوا[٣]
٢٢ـ وأحمِـلُ أحقـادَ الأقـارب فيكُمُ ... ويُنْصَبُ لي في الأبعدين فأنْصَب[٤]
٢٣ـ بخـاتِمكُم غَصْبـاً تجُوزُ أمُـورهُم ... فلم أرَ غصبـاً مثلَـهُ يُتَغصَّب[٥]
٢٤ـ وَجَـدْنـا لكم في آلِ حـاميمَ آيـةً ... تـأوَّلهـا منّـا تقيٌّ ومُعْرِب[٦]
٢٥ـ وفي غيرهـا آيـاً تتـابعَتْ ... لكُم نَصَبٌ فيها لذي الشَّكِّ مُنْصِب[٧]
٢٦ـ وقـالـوا ورثنـاهـا أبـانـا وأمّنـا ... ومَـا وَرَّثَتْهُم ذاك أمٌّ ولا أبُ
٢٧ـ يَرَون لهم حقّاً على النَّاس واجباً ... سَفَـاهـاً وحقُّ الهـاشميين أوْجَبُ
٢٨ـ ولكنْ مـواريثُ ابن آمنـةَ الـذي ... بـه دانَ شرقيٌّ لكم ومُغَرِّبُ[٨]

---

(١) الخِبّ المساد والخبت والخداع .

(٢) ترابي : يريد النسبة إلى أبي تراب وهو عليّ ، أطلقه عليه الرسول ﷺ عندما نعس فنام فسفت الريح التراب على عليّ .

(٣) الإحرياء . العادة ، والوجه الدي تأخد فيه وتحري عليه . يُمال فلان من إجريـاه الكرم أي من طبيعته . الصريبة . الطبيعة . أجلبوا : تجمَّعوا عليَّ وتألّبوا .

(٤) نصب فلان لفلان نصباً إذا قصد له وعاداه . وناصبه الشرّ والعداوة ، والحربَ مناصبة : أظهر له . يقول · احتمل حقد الأقارب عليّ من أجلكم وأناصب العداوة لمن يظهر لي العداوة من الأبعدين .

(٥) خاتم الخلافة ، يقول : لولا خاتم الخلافة الذي اغتصبتموه من بني هاشم لم تكن لكم كلمة نافذة في الرعية

(٦) يقال . آل حاميم للسور التي أولها حم ، والآية هي قوله تعالى : ﴿ قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ . والتقيّ هنا الذي يتقي الخوض في الأمور ويلتزم السكوت . والمُعْرِب : المُبين .

(٧) النَّصب القلم المنصب . المُتعب .

(٨) ابن آمنة : رسول الله . مواريث : جمع ميراث . دانَ : خضع وأطاع .

٢٩ - فِدىً لكَ موروثاً أبي وأبو أبي | ونفسي ونفسي بعدُ بالنَّاس أطيبُ
٣٠ - فيا موقداً ناراً لِغيرك ضوؤها | ويا حاطباً في غير حَبلك تَحْطِبُ
٣١ - ألم تَرَني من حُبِّ آل محمَّدِ | أروحُ وأغدو خائفاً أتَرقَّبُ
٣٢ - كأنّي جَانٍ مُحْدِثٌ وكأنَّما | بهم أُتَّقى من خَشْيةِ العار أجْرَبُ
٣٣ - على أيِّ جُرْمٍ أم بأيَّة سيرةٍ | أُعَنَّفُ في تَقريظهم وأُؤنَّبُ
٣٤ - أُناسٌ بهم عزَّت قريشٌ فأصبحوا | وفيهم خِباءُ المكرُمَات المُطنَّب(١)
٣٥ - مُصَفّون في الأحساب مَحْضُون نجرُهم | هُمُ المَحْضُ منَّا والصَّريحُ المُهذَّب(٢)
٣٦ - خِضَمُّون أشرافٌ لَهَاميمُ سَادةٌ | مطاعيمُ أيْسارٌ إذا النَّاسُ أجدبوا(٣)
٣٧ - إذا ادلَمَّستْ ظلماءُ أمرين حِنْدِسٍ | فَبَدْرٌ لهم فيها مضيءٌ وكوكب(٤)
٣٨ - مَساميحُ منهم قائلون وفاعلٌ | وسَبَّاقُ غاياتٍ إلى الخير مُسْهِب(٥)
٣٩ - أُولاك نبيُّ الله منهم وجَعفرٌ | وحَمزةُ ليثُ الفيلقين المُجَرَّب(٦)
٤٠ - قتيلُ التَّجُوبيِّ الذي استَوْأَرَتْ به | يُسَاقُ به سوقاً عنيفاً ويُجْنَب(٧)
٤١ - ومِن أكبرِ الأحداثِ كانت مصيبةٌ | علينا قتيلُ الأدعياء المُلَحَّب(٨)

---

(١) المطنّب : المحدود بالطنب وهي حبال الخيمة .

(٢) النُّجر والنِّجار : الأصل والمحض الخالص ، مثل الصريح ، الأحساب : شرف الآباء .

(٣) الخضمّ : الكريم . لهاميم : جمع لَهموم : السيِّد . أيْسار : كرام ، جمع يسر

(٤) ادلمّس الليل : إذا اشتدّ في ظلمته وهو ليل مدلمس . الحندس : الظلمة . أمرين : يريد : أمرين مختلفين . يقول : إذا اختلف الناس في أمرين كانوا هم الهداة عند ظلام الرأي وتحيّر الفكر .

(٥) مساميح : كرام . المُسْهب : الشديد الجري ، من أسهب الفرس : اتّسع في الجري .

(٦) جعفر بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، الفيلق : الجيش .

(٧) قتيل التجوبي هو عليّ بن أبي طالب ، وتجوب قبيلة . استوأرت : أي فزعت ونفرت متتابعة . يُجنب : يُقاد .

(٨) قتيل الأدعياء : هو الحسين . والأدعياء : جمع دعيّ وهو الذي يُنسب إلى غير أبيه ، يريد عبيد الله بن زياد بن سميّة أخي معاوية . الملحب : المقطع بالسيوف .

٤٢ ـ قتيـلٌ بِجَنْب الطَّفِّ من آلِ هـاشمٍ   فيـالـكَ لَحْماً ليسَ عنـه مُـذَبِّب[1]
٤٣ ـ مَضَـوا سَلَفـاً لا بـدَّ أنَّ مصيرَنَــا   إليهم فَغَــادٍ نحـوَهُم مُتَــأوِّبُ
٤٤ ـ كـذاكَ المنـايـا لا وضيعاً رأيتهـا   تَخَطَّى ولا ذا هيبــةٍ تتهيَّبُ
٤٥ ـ وقـد غـادروا فينـا مصـابيـحَ أنجُماً   لنـا ثِقـةٌ أيـانَ نَخْشَى ونَرْهَب[2]
٤٦ ـ أولئـك إنْ شطَّتْ بهم غربـةُ النَّوى   أمانِيُّ نفسي والهوى حيثُ يَسْقُب[3]

☆ ☆ ☆

الكميت بن زيد ، الهاشميات ، ص ٣٦ ـ ٥١

---

(١) الطفّ : موضع بشطّ الفرات . مذبّب : مدافع .

(٢) غادروا ؛ تركوا . مصابيح : يعني ذريتهم عليهم السلام . أيان نخشى : حين نخشى .

(٣) شطت : بعدت ونأت . النوى : النية في السفر . يسقب : يدنو .

قالَ الطِّرماحُ بنُ حكيم[☆] :

١ - وإنّي لَمقتادٌ جوادي وقاذفٌ بِهِ وبنفسي العامَ إحدى المقاذفِ
٢ - لأكسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غِنَىً مِن الله يكفيني عِداتِ الخلائفِ[١]
٣ - فيا ربِّ إنْ حانَتْ وفاتي فلا تكُنْ على شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْرِ المطارفِ[٢]
٤ - ولكنْ أحِنْ يَومي سعيداً بعُصْبَةٍ يُصابون في فجٍّ من الأرضِ خائفِ
٥ - فوارسُ مِن شيبانَ أَلَّف بينهم تُقَى الله نزّالونَ عِنْدَ التَّزاحُفِ
٦ - إذا فارقوا دُنياهُم فارقوا الأذى وصاروا إلى موعود ما في المصاحفِ

☆ ☆ ☆

ديوان الطرماح ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٣٣٣

وقالَ :

١ - كلُّ حَيٍّ مستكمِلٌ عِدَّةَ العُمْـ ـرِ ومُودٍ إذا انقضى عَدَدُه[٣]
٢ - عجباً ما عجبتُ للجامعِ الما لَ يُباهي بهِ ويَرْتَفِدُه[٤]
٣ - ويُضيعُ الذي يصيِّره اللّـ ـهُ إليه فليسَ يعتقِدُهْ

(☆) هو الطِّرماح بن حكيم الطائي ، نشأ في الشّام وانتقل إلى الكوفة مع جيوش الشام . اعتنق مذهب الخوارج الصُّفْرية وبقي عليه حتّى مات . احترف التعليم ومدح الأمراء والولاة . تعصَّب لطيِّئ وللقحطانيّة وهجا الفرزدق . له شعر جيِّد بعضه في وصف الصحراء ، وقد أعرب في شعره أحياناً حتى استعصى لفظه على كبار اللغويين . مات حوالي سنة ١٠٥ هـ .

(١) عِدات : جمع عِدة ويريد بها الصلة . الخلائف : جمع خليفة .

(٢) الشرجع : النعش .

(٣) مودٍ : ميت .

(٤) يرتفده : يكتسبه .

٤ـ يـومَ لا ينفـع المخـوَّل ذا الثر   وة خُـلاَّنُـه ولا وَلَـدُه[1]
٥ـ يـومَ يـؤتَى بـهِ وخصماه وسـط الـ   ـجنِّ والإنس رِجْلُـه ويَـدُهْ
٦ـ خـاشعَ الصَّوت ليسَ ينفعُـه ثَـ   ـمَّ أمـانيُّـه ولا لَـدَدُهْ

☆ ☆ ☆

ديوان الطرماح ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨

---

(١) المخوَّل : الثريّ .

قالَ عُبَيدُ الله بنُ قيس الرقيّات(☆) يمدحُ مُصعبَ بنَ الزُّبير :

١ـ حَبَّــذا العيشُ حينَ قـومي جميـعٌ   لم تفرّقْ أمـورَهــا الأهــواءُ(١)
٢ـ قَبْـلَ أنْ تَطمـع القبـائـلُ في مُلـ   ــكِ قريشٍ وتَشْمتَ الأعــداءُ
٣ـ أيُّهــا المُشتهي فنــاءَ قُريشٍ   بيــدِ الله عُمْرُهــا والفَنــاءُ
٤ـ إن تُــودِّعْ مِن البــلادِ قُريشٌ   لا يكُنْ بعــدَهُم لحيٍّ بَقَــاءُ(٢)
٥ـ لـو تقفّي وتَتركُ النَّــاسَ كانـوا   غَنَمَ الـذِّئبِ غابَ عنها الرِّعاءُ(٣)
٦ـ هـل تَرى مِن مُخلَّــد غيرَ أنَّ اللـ   ــه يَبْقَى وتــذهبُ الأشيــاءُ
٧ـ لم نَــزَلْ آمنين يحسُـدُنـا النَّــا   سُ ويَجري لنــا بــذاكَ الثَّراءُ
٨ـ لـو بكت هــذهِ السَّماءُ على قـو   مٍ كرامٍ بكَتْ عَلينــــا السَّماءُ
٩ـ إنَّما مصعبٌ شِهــــابٌ من اللـ   ــه تجلَّتْ عن وجهــهِ الظَّلمــاءُ
١٠ـ مُلكُــهُ مُلْــكُ قــوَّةٍ ليسَ فيــه   جَبَروتٌ ولا بــهِ كِبريــاءُ
١١ـ يَتَّقي الله في الأُمــور وقــد أفْـ   ــلَحَ مَنْ كانَ همَّــهُ الاتِّقــاءُ

☆ ☆ ☆

ديـوان عبيـد الله بن قيس الرقيـات ، تحقيـق وشرح محمـد يـوسف نجم ، ١٩٥٨ م ، ص ٧٨ وما يليها .

(☆) هو عُبيد الله بن قيس لُقِّب بالرقيَّات لأنه شبَّب بثلاث نساء سُمِّين جميعاً رقيَّة . كان شاعر قريش يدافع عنها ويسعى إلى وحدتها و يهجو الأمويين الذين استعانوا باليمانية وأخملوا القرشيين . انحاز إلى عبد الله بن الزبير ومدح أخاه مصعب بن الزبير واليه على العراق . دخل في حزب بني أمية بعد إخماق ثورة الزبيريين ، ومدح عبد الملك بن مروان ، توفي سنة ٧٥ هـ .

(١) جميع : مجتمعو الشمل . الأهواء : الآراء ، ويقصد بها المذاهب السياسية .

(٢) تودّع : ترحل . الحي : جزء من القبيلة يضم عدة أسر .

(٣) تقفّي : تذهب . الرِّعاء : جمع الراعي .

قالَ عُمر بنُ أبي ربيعة(☆) :

١ - أمِنَ آلِ نُعْمٍ أنتَ غــــادٍ فَمُبْكِرُ | غَـــداةَ غَـــدٍ، أم رائِــحٌ فَمهجِّرُ(١)
٢ - لِحاجَـةِ نفسٍ لم تَقُـلْ في جَوابِهـا | فَتُبْلِـغَ عُـذراً والمقـالــةُ تُعْــذِرُ
٣ - تهيمُ إلى نُعْمٍ، فلا الشَّمـلُ جـامـعٌ | ولا الحبلُ موصولٌ، ولا القلبُ مُقصِرُ
٤ - ولا قُرْبُ نُعْمٍ إن دَنَتْ لـكَ نـافـعٌ | ولا نـأْيُهـا يُسلي، ولا أنتَ تصبِرُ
٥ - وأُخرى أتَتْ مِن دُوْنِ نُعْم، ومثلُها | نَهَى ذو النُّهى لو ترعـوي أو تفكَّرُ(٢)
٦ - إذا زُرْتَ نُعْماً، لم يَـزَلْ ذو قرابـةٍ | لهـــا، كلَّما لاقيتَـــــه، يتنمَّرُ
٧ - عـزيـزٌ عليـه أنْ أُلِمَّ ببيتهـــا | يُسِرُّ لي الشَّحنـاءَ، والبغضَ يُظهِرُ(٣)
٨ - أَلِكْني إليهـا بـالسَّلام، فـإنَّــه | يُشَهَّر إلمـــامي بهـــا ويُنكَّرُ(٤)
٩ - بـآيـةِ مـا قـالَتْ غَـدَاةَ لقيتُهـا | «بِمـدفع أكنـان»: أهـذا المشهَّرُ(٥) ؟
١٠ - أشارتْ بِمِدراهـا، وقـالَتْ لأُختهـا | أهذا المغيريّ الـذي كانَ يُـذكَرُ(٦) ؟

(☆) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي . ولد من أمّ يمنية اسمها مجد وأب قرشي تـاجر ، كان عـاملاً لرسول الله ﷺ وللخلفاء الثلاثة من بعده على منطقـة الْجَنَـد في اليمن . شبَّ عمر في نعيم وترف ودلال وألف أحوال النسـاء صغيراً ، إذ تربَّى في كنف أمـه التي بـالغت في حبِّه . عُرف عمر بـالغزل الصريـح والمبـالغـة في تصـوير حبِّ النسـاء لـه ، واشتُهر بتعرضـه للنســاء في الحجِّ حتى غضب عليــه عمر بن عبد العزيز ونفاه . توفي سنة ٩٣ هـ .

(١) غـاد فمبكر : أي سـائر في الصباح البـاكر قبل طلوع الشمس . الرائـح : السـائر في الرواح وهـو وقت العشي . المهجِّر : السائر في الهاجرة وهي الحرّ الشديد .

(٢) النُّهى : العقل . ترعوي : ترجع عن الضلال .

(٣) الشحناء : الكراهية والبغضاء .

(٤) ألكني : أي احمل رسالتي . يشهَّر : يُذاع .

(٥) « مدفع أكنان » : اسم موضع .

(٦) المدرى : حديده يحكّ بها الرأس . المغيريّ : أي عمر ، نسبة إلى المغيرة جدّ أبيه .

١١ ـ أهذا الذي أطريتِ نعتاً، فلم أكُنْ وعيشِكِ، أنساه إلى يومِ أُقْبَرُ(١)

١٢ ـ فقالت: نَعَمْ، لا شكَّ غيَّرَ لونَهُ سُرى الليل يُحْيِي نصَّه، والتَّهجُّرُ(٢)

١٣ ـ لئِنْ كانَ إيَّاه، لقد حالَ بعدنا عن العهد، والإنسانُ قد يتغيَّرُ(٣)

١٤ ـ رأتْ رجلاً أمَّا إذا الشَّمسُ عارضَتْ فَيَضْحَى، وأمَّا بالعشِيِّ فَيَخْصَرُ(٤)

١٥ ـ أخا سفرٍ جوابَ أرضٍ، تقاذفَتْ بهِ فلواتٌ، فهو أشعثُ أغْبَرُ(٥)

١٦ ـ قليلٌ على ظهر المطيَّة ظلُّه سوى ما نفى عنه الرِّداءُ المُحبَّرُ(٦)

١٧ ـ وأعْجَبَها من عيشها ظِلُّ غرفةٍ وريَّانُ ملتفُّ الحدائقِ أخضرُ

١٨ ـ ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يُهمُّها فليست لشيءٍ آخِرَ الليل تسهرُ(٧)

١٩ ـ وليلةِ «ذي دَوْران» جشَّمني السُّرى وقد يَجْشَمُ الهولَ المحبُّ المغرَّرُ(٨)

٢٠ ـ فبتُّ رقيباً للرفاق على شَفاً أُحاذِرُ منهم من يطوفُ وأنظرُ(٩)

٢١ ـ إليهم، متى يستمكنُ النَّومُ منهمو ولي مجلسٌ لولا اللبانةُ أوعرُ(١٠)

٢٢ ـ وباتت قَلوصي بالعراء ورحلُها لطارقِ ليلٍ، أو لِمَن جاءَ، مُعورُ(١١)

---

(١) أطريت نعتاً: أحسنت وصفاً.

(٢) يحيي نصّه: يحيي مروره وانقضاءه. التهجّر: السير في الهاجرة وهي الحرّ الشديد.

(٣) حال: تغيّر.

(٤) عارضت: أي قابلت وواجهت. يضحى: يتعرض للشمس. يخصَر: يشتدّ به البرد.

(٥) الفلوات: جمع فلاة وهي الصحراء.

(٦) الرداء المحبّر، المزيّن والمطرّز.

(٧) الوالي: الزوج أو القيم. كفاها كل شيء: أى كفل لها كل احتياجاتها ورغائبها.

(٨) «ذو دوران»: اسم موضع. جتمني: أي كلمني. المغرّر: الذي يعرّض نفسه للهلاك.

(٩) على شفاً: على حذر وتربّص.

(١٠) لولا اللبانة: لولا الحاجة والهوى.

(١١) قلوصي: ناقتي. معور: أي ظاهر واضح.

٢٣ـ وبتُّ أُناجي النَّفسَ: أينَ خِباؤها؟ وكيفَ لِما آتي من الأمرِ مَصْدرُ؟

٢٤ـ فدلَّ عليها القلبُ ريّا عرفْتُها لها، وهوى النفس الذي كادَ يظهرُ[1]

٢٥ـ فلمَّا فقدتُ الصَّوتَ منْهم، وأُطفِئَت مصابيحُ شُبَّت في العِشاء وأَنْؤرُ

٢٦ـ وغابَ قُمَيرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَهُ وروَّحَ رعيانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ

٢٧ـ ونفَّضْتُ عني النوم، أقْبلتُ مِشيةَ الـ حُبَابِ وركني خشيةَ القوم أزور[2]

٢٨ـ فَحَيَّيتُ إذْ فاجأْتُها، فتولَّهَتْ وكادَتْ بمخفوضِ التَّحيةِ تَجْهَرُ[3]

٢٩ـ وقالَتْ وعضَّتْ بالبَنان: فضحْتَني! وأنتَ امرؤ ميسورُ أمرِك أعْسَرُ

٣٠ـ أرَيْتَكَ، إذ هُنَّا عليك، ألم تخف؟ وُقيتَ، وحَولي من عدوِّك حُضَّرُ[4]

٣١ـ فواللهِ ما أدري أتعجيلُ حاجةٍ سَرَتْ بك، أم قد نامَ مَنْ كنْتَ تحذَرُ؟

٣٢ـ فقلتُ لها: بلْ قادَني الشوقُ والهوى إليكِ، وما عينٌ من النَّاس تنظرُ

٣٣ـ فقالَتْ وقد لانَتْ وأُفرخَ رَوعُها: كَلاكَ بحفظٍ ربُّكَ المتكبِّرُ[5]

٣٤ـ فأنت، أبا الخطَّاب، غيرَ مُدافعٍ عليَّ أميرٌ، ما مكثْتَ، مؤمَّرُ[6]

٣٥ـ فبتُّ قريرَ العينِ، أعطيتُ حاجتي أُقبِّلُ فاهاً في الخَلاء فأُكثِرُ

٣٦ـ فيالَكَ من ليلٍ تَقَاصَرَ طولُهُ وما كانَ ليلي قبلَ ذلك يقصُرُ

٣٧ـ ويالكَ مِنْ مَلهىً هُناك، ومجلسٍ لنا، لم يكدِّرْه علينا مُكَدِّرُ

---

(١) الريّا: الرائحة الذكية.

(٢) مشية الحباب: أي كما تمشي الحية، وركني أزور: أي وجسمي مائل منعطف خشية أن يراني أحد.

(٣) تولَّهت: اشتدَّ بها الوجد.

(٤) أريتك: أي قلْ لي وأخبرني، أصلها أرأيتك. حُضَّر: أي حاضرون.

(٥) أُفرخ رَوعُها: هدأت نفسها. كلاك: رعاك وحفظك.

(٦) أبو الخطاب: كنية عمر بن أبي ربيعة. غير مدافع: غير منازع. مؤمَّر: أي لك الأمر والسيادة عليَّ.

٣٨ـ يَمــجُّ ذكيَّ المِســكِ منهــا مُفَلَّــجٌ رقيقُ الحـواشي ذو غُرُوبٍ مـؤشَّر[١]
٣٩ـ تَرَاه إذا تفترُّ عنــــــهُ، كأنَّــــه حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُـــوانٌ مُنَـــوَّر[٢]
٤٠ـ وتَرْنُــو بعينيهــا إليَّ، كما رَنَــا إلى رَبْربٍ وَسْطَ الخميلـةِ جُؤذُر[٣]
٤١ـ فلَمَّــا تقضَّى الليــلُ إلا أقلَّــهُ وكادَتْ تَــوالي نَجْمِــهِ تَتَغَــوَّر[٤]
٤٢ـ أشارَتْ بأنَّ الْحَيَّ قد حـانَ مِنهمو هُبوبٌ، ولكنْ موعدٌ لـكَ «عَزْوَرُ»[٥]
٤٣ـ فمــا راعني إلاَّ مُنــادٍ: «ترحَّلُــوا» وقـد لاحَ مفتوقٌ من الصُّبحِ أشقرُ[٦]
٤٤ـ فلمَّــا رأَتْ مَنْ قــد تنبَّــهَ مِنْهُمـو وأيقاظَهُم، قالَتْ: أشِرْ كيفَ تـأمرُ!
٤٥ـ فقلتُ: أُبــاديهم، فــإمــا أفــوتهم وإمَّـا ينـالُ السَّيفُ ثـأراً فَيَثْــأَرُ[٧]
٤٦ـ فقـالَتْ: أتحقيقــاً لِما قــالَ كاشِـحٌ عَلينا، وتصـديقاً لِما كانَ يُؤثَرُ[٨] ؟
٤٧ـ فـإنْ كانَ مــا لا بُــدَّ منــه، فَغَيْرُهُ من الأمرِ أدنى للخفــــــاء وأسترُ
٤٨ـ أقصُّ على أُختيَّ بــدءَ حــديثِنــا ومــا ليَ مِن أنْ تعلمــا مُتــأخَّرُ
٤٩ـ لعلَّهما أنْ تطلُبَــا لــكَ مَخْرجــاً وأن ترحُبَا صدراً بما كنتُ أحْصَرُ[٩]

---

(١) يمجّ ذكي المسك ، أي يقذف بالرائحة الطيّبة . مُفلّج : أي ثغر متباعد الأسنان ، وكانت العرب تعدّ هذا من جمال المرأة . ذو غُروب : أي ممتلئ بالرحيق والرضاب . مؤشّر : أي أسنانه محززة خلقة أو صنعة .

(٢) تفترّ عنه : تبتسم .

(٣) الرَّبرب : القطيع من بقر الوحش . الجُؤذر : ولد البقرة الوحشية كانت العرب تشبه النساء بـه لجمال عينيه .

(٤) توالي نجمه · أي نجومه المتبقية ، تتغوّر : تغيب .

(٥) عزور : اسم جبل بين مكة والمدينة .

(٦) مفتوق : أي منشق ، والمقصود نور الصباح .

(٧) أباديهم : أبدو وأتصدّى لهم .

(٨) الكاشح : العدو المبغض . يؤثر : يُروى ويُقال .

(٩) أحصر : أضيق به .

٥٠ـ فقامَتْ كئيباً ليسَ في وجهها دَمٌ من الْحُزْن تُذري عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ[١]

٥١ـ فقامَتْ إليها حرَّتان عليهما كساءان من خَزٍّ: دمقسٌ وأخضرُ

٥٢ـ فقالَتْ لأُختيها: «أعينا على فتىً أتى زائراً، والأمرُ للأمر يُقدرُ»

٥٣ـ فأقبلَتا، فارتاعتا، ثُمَّ قالتا: أقلّي عليك اللومَ، فالْخَطبُ أيْسَرُ

٥٤ـ فقالَتْ لها الصُّغرى: سأُعطيه مُطْرَفي ودِرعي وهذا البُرْدَ إن كانَ يَحْذرُ[٢]

٥٥ـ يقومُ فيمشي بيننا مُتَنكِّراً فلا سِرُّنا يفشُو ولا هُوَ يظهرُ

٥٦ـ فكانَ مِجنِّي دونَ مَنْ كنتُ أتَّقِي ثلاثُ شُخوصٍ: كاعبانِ ومُعْصِرُ[٣]

٥٧ـ فلمّا أجزنا ساحةَ الحيِّ قلن لي: ألم تتَّقِ الأعداءَ والليلُ مقمرُ؟

٥٨ـ وقُلْنَ: أهذا دأبُكَ الدَّهرَ سادِراً أمَا تَسْتَحي أم ترعوي أم تفكّرُ[٤]؟

٥٩ـ إذا جِئْتَ فامنحْ طرفَ عينيك غيرَنَا لكي يَحْسَبوا أنَّ الهوى حَيثُ تنظرُ[٥]

٦٠ـ فآخرُ عهدٍ لي بها حين أعْرَضَتْ ولاحَ لها خَدٌّ نقيٌّ ومَحْجرُ

٦١ـ سوى أنني قد قلتُ يا نُعْمُ، قولةً لها، والعتاقُ الأرحبيّاتُ تُزْجَرُ[٦]

٦٢ـ هَنيئاً لأهلِ العامرية نشرُها الـ لذيذُ وريّاها التي أتذكّرُ[٧]

☆ ☆ ☆

ديوان عمر تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، ١٩٦٠ م ، ص ٩٢ ـ ١٠٣

---

(١) تذري عبرة : تسكب دمعة .

(٢) المُطرف : رداء من خزّ . الدّرع : قميص المرأة . البُرْد : ثوب مخطط .

(٣) مجني : ترسي . الكاعبان : مثنى الكاعب . وهي الفتاة في أول البلوغ . المعصر : المرأة الناضجة .

(٤) دأبك : عادتك . سادراً : منصرفاً إلى الغواية غير مبال .

(٥) امنح طرف عينيك غيرنا : أي انظر إلى سوانا وغيرنا .

(٦) العتاق الأرحبيات : النياق الكريمة . تزجر : تساق وتدفع .

(٧) النشر : ريح فم المرأة . الريّا : الرائحة الذكية .

قالَ جميلُ بنُ مَعْمَر(☆) :

١ـ ألا ليتَ رَيْعانَ الشَّبابِ جَديدُ ودهراً تولَّى ـ يابثينَ ـ يعودُ[١]
٢ـ فنبقى كما كنَّا نكونُ، وأنتمو قريبٌ، وإذْ ماتبذلِيْنَ زهيدُ
٣ـ وما أنسَ مِ الأشياءِ لاأنسَ قولَها وقد قَرَّبَتْ نِضْوي : أمِصْرَ تريدُ[٢] ؟
٤ـ ولا قولَها : لولا العيونُ التي تَرى لزرتُكَ، فاعذرني، فَدَتْكَ جُدُودُ
٥ـ خليليَّ، ماألقى مِن الوجدِ باطنٌ ودمعي ـ بما أُخفي الغداةَ ـ شَهيدُ
٦ـ ألا قد أرى، والله، أن رُبَّ عَبْرةٍ إذا الدارُ شطَّتْ بيننا سَتَزيدُ[٣]
٧ـ إذا قُلْتُ : مابي يابثينةُ قاتلي من الحبِّ، قالَتْ : ثابتٌ ويزيدُ
٨ـ وإن قُلْتُ : ردِّي بعضَ عقلي أعِشْ به ! تولَّتْ وقالَتْ : ذاكَ مِنكَ بعيدُ
٩ـ فلا أنا مردُودٌ بما جِئْتُ طالباً ولا حبُّها فيما يَبيدُ يَبيدُ[٤]
١٠ـ جَزَتْكِ الْجَوَازي يابثينَ سلامةً إذا ماخليلٌ بانَ وهو حَميدُ[٥]
١١ـ وقُلْتُ لها : بَيني وبَينكِ فاعلمي مِن الله مِيثاقٌ لهُ وعُهُودُ

(☆) هو جميل بن عبد الله بن مَعْمَر العُذري . ولد في وادي القُرى بالحجاز ، وشبَّ يحبُّ ابنة عمٍّ له اسمها بُثينة . ولما جاء إلى أهلها يخطبها ردّوه وزوّجوها برجل خامل النسب . وكان يلقى بثينة خفية ويهيم بها ويذكرها في شعره حتى استعدى أهلها عليه مروان بن الحكم فتوعَّده فاضطر إلى الاغتراب إلى أن توفي سنة ٨٢ بمصر .

(١) رَيْعَان الشباب : أوله وأفضله ونضارته .

(٢) نضوي : النضو : الهزيل ، والمقصود به هنا : ناقتي الهزيلة . مِ الأشياء : مِن الأشياء .

(٣) عبرة : دمعة . شطت : بعدت وتناءت .

(٤) يبيد : يفنى ويزول .

(٥) الجوازي : جمع جازية ، وهي المكافأة . بانَ : رحل .

١٢ـ وقد كانَ حبِّيكم طريفاً وتالداً وما الحبُّ إلا طارفٌ وتليد[١]

١٣ـ وإنَّ عَروضَ الوصل بيني وبينها وإنْ سهَّلتْهُ بالْمُنى لكؤود[٢]

١٤ـ وأفنيْتُ عمري بانتظاريَ وَعْدَها وأبْلَيْتُ فيها الدَّهرَ وهو جَديدُ

١٥ـ ويَحْسَبُ نِسوانٌ من الجهل أنَّني إذا جئْتُ إيَّاهُنَّ كُنْتُ أُريدُ

١٦ـ فأُقْسِم طرفي بينهنَّ فيستوي وفي الصَّدرِ بونٌ بينهن بعيدُ[٣]

١٧ـ ألا ليتَ شِعْري هَلْ أبيْتَنَّ ليلةً بوادي القُرى، إنِّي إذنْ لَسَعيدُ[٤]

١٨ـ وهَلْ أهْبِطَنْ أرضاً تَظَلُّ رِياحُها لها بالثَّنايا القاوياتِ وَئِيد[٥]

١٩ـ وهَلْ أَلْقينْ «سُعْدَى» من الدَّهرِ مرةً وما رثَّ من حَبْلِ الصَّفاء جَديد[٦]

٢٠ـ وقد تَلْتقي الأشتاتُ بَعْدَ تفرُّقٍ وقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهي بَعيد[٧]

٢١ـ إذا جئْتُها يوماً من الدَّهْر، زائراً تَعرَّضَ منفوضُ اليدين صَدُود[٨]

٢٢ـ يَصُدُّ ويُغضِي عن هوايَ ويجتني ذنوباً عليها، إنَّه لعَنُودُ

٢٣ـ فأصْرِمُها خوفاً، كأنِّي مجانبٌ ويَغْفُلُ عنَّا مرةً، فَنَعُود[٩]

٢٤ـ ومَنْ يُعْطَ في الدُّنيا قريناً كمثلها فذلك في عيشِ الحياةِ رشيد[١٠]

(١) طارف وتليد: حديث وقديم.

(٢) العروص: الطريق الوعر في عرض الجبل يكتنفه مضيق، والمقصود به هنا: واقع الحال بينه وبين حبيبته فى الوصال واللقاء. كؤود. الشاق، الصعب.

(٣) أقسم طرفي: أوزع النطر.

(٤) وادى القرى: اسم موضع قرب المدينة، كان يقيم فيه قوم جمل وبثينة.

(٥) الثنايا القاويات: الطرق الخالية. وئيد: صوت عال شديد.

(٦) رثّ: قدم وبلي.

(٧) الأشتات: جمع شتيت، أي المتفرق والمتبعد.

(٨) المنفوض: من أصابته رعدة الحمى. والرعدة هنا بسبب الغضب والغيرة، والمقصود به روح شينة.

(٩) أصرمها: أجافيها وأقاطعها. مجانب: مبتعد لا غاية له فيها.

(١٠) قريناً: زوجة.

٢٥ـ يموتُ الهوى منّي إذا ما لقيتُها وَيَحْيَا إذا فارقْتُها فيَعودُ
٢٦ـ يقولون: جاهِدْ يا جميلُ بغَزْوةٍ وأيَّ جهادٍ غيرَهُنَّ أُريدُ!
٢٧ـ لكلِّ حديثٍ عندهنَّ بَشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ عندهنَّ شَهيدُ
٢٨ـ وأحسنُ أيامي، وأبهجُ عيشتي إذا هِيجَ بي يوماً وهُنَّ قُعُودُ
٢٩ـ تذكَّرْتُ ليلى فالفؤادُ عميدُ وشطَّت نواها فالمزارُ بعيد(١)
٣٠ـ عَلِقْتُ الهوى منها وليداً، فلم يَزَلْ إلى اليوم يَنْمي حُبُّها ويَزيد(٢)
٣١ـ فما ذُكِرَ الْخُلاَّنُ إلا ذكرتُها ولا البخلُ إلا قُلْتُ سوف تجودُ
٣٢ـ إذا فكَّرت قالَتْ: قَدَ ادركْتُ وُدَّه وما ضرَّني بخلي، فكيفَ أجود(٣)
٣٣ـ فلو تُكْشَفُ الأشياءُ، صُودف تحتَها لبثنةَ حُبٌّ طارفٌ وتليدُ
٣٤ـ ألم تعلمي يا أمَّ ذي الوِدع أنَّني أضاحكُ ذكراكِ وأنتِ صلود(٤)!
٣٥ـ فهل ألْقيَنْ فرداً بثينةَ ليلةً تجودُ لنا مِن وُدِّها ونَجُود(٥)
٣٦ـ ومَن كانَ في حبّي بثينةَ يمتري «فبرقاءُ ذي ضالٍ» عليَّ شهيد(٦)

☆ ☆ ☆

ديوان جميل ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ص ٦١ ـ ٦٧

---

(١) العميد : العاشق المتيَّم الذي هدَّه العشق . شطَّت نواها : بعدت بها المسافات .
(٢) علقت الهوى : أصابني الهوى وتملكني . ينمي : يزيد ويتضاعف .
(٣) قد أدركت وده : قد استحوذت على مودته وحبَّه رغم بخلها .
(٤) الودع : خرزات بيض تستخرج من البحر تشقّ كالنواة وتعلق في أعناق الأطفال لدفع الحسد ، والمقصود بأم ذي الودع : بثينة . صلود : بخيلة جداً .
(٥) فرداً : منفرداً ، بعيداً عن الناس .
(٦) يمتري : يشكّ . برقاء ذي ضال : اسم موضع كان جميل وبثينة يلتقيان فيه بعيداً عن الرقباء .

ـ ١٩ ـ

قالَ كثيِّر عَزَّة[☆] :

١ـ خليليَّ، هـذا رَبْعُ عَـزَّةَ، فـاعقِـلا   قَلُوْصَيكُما، ثمَّ ابكيا حيثُ حَلَّتِ[١]
٢ـ ومَسَّا تراباً كانَ قـد مَسَّ جلدَهـا   وبيتـا وظـلاً حيثُ بـاتَتْ وظلَّتِ
٣ـ ولا تيـأسـا أنْ يمحـوَ اللهُ عنكمـا   ذُنـوبـاً إذا صلَّيتُما حَيثُ صَلَّتِ
٤ـ ومـا كنتُ أدري قبلَ عزَّةَ مـا البكا   ولا موجعـاتِ القلبِ حتَّى تولَّتِ[٢]
٥ـ وقـد حَلَفتْ جَهـداً بما نَحَرتْ لـه   قريشٌ غَدَاةَ «المـأزمين» وصَلَّتِ[٣]
٦ـ أُنـاديـكِ مـا حجَّ الحجيجُ وكبَّرَت   «بفيفـا غـزال» رِفقـةٌ وأهلَّتِ[٤]
٧ـ وما كبَّرت من فوق «ركبة» رفقـةٌ   ومن«ذي غزال»أشْعَرت واستهلَّتِ[٥]
٨ـ وكانت لقطـعِ الحبـل بيني وبينهـا   كنـاذرةٍ نَـذْراً، فـأوفَتْ وحلَّتِ[٦]

(☆) هو كثيّر بن عبد الرحمن ، شاعر حجازي من خزاعة ، كان ينزل المدينة كثيراً . شغف بعزّة واشتهر بغزله فيها حتّى سمّي كثيّر عزّة . مال إلى ابن الحنفية وتشيّع له . مدح الأمويين وحرّضهم على ابن الزبير ، وظلّ مع ذلك مخلصاً لعقيدته الشيعية وإنكاره خلافة الخلفاء الراشدين حتى وفاته سنة ١٠٧ هـ .

(١) ربع عزّة : موضع دارها . اعقلا : شدّا واربطا . قلوصيكما . القلوص الناقة الشابة النشيطة .

(٢) تولت : ذهبت وأدبرت .

(٣) المأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة (بين عرفة والمزدلفة) وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرفة وبه المسجد الذى يجمع فيه الإمام بين صلاتي الظهر والعصر . حلفت جهداً : أي بالغت في اليمين .

(٤) بفيفا غزال : أي بفيفاء غزال ، موضع بمكة حيث ينزل الناس منها إلى الأبطح .
أهلّت : رفعت صوتها بالتلبية . ما حجّ الحجيج : أي طيلة مدّة حجّ الحجيج .

(٥) ركبة : وادٍ بين مكة والطائف . رفقة : رفاق ، جمع رفيق . أشعرت : جعلت لنفسها شعاراً .. وشعار القوم علامتهم فى السفر .

(٦) حلّت . أوفت بعهدها وخرجت من ميثاق كان عليها .

٩ـ فقلتُ لهـا : يـا عـزُّ كلُّ مصيبـةٍ إذا وطِّنَتْ يوماً لها النَّفْسُ ذلَّتِ[١]

١٠ـ ولم يلقَ إنسـانٌ مِن الحبِّ مَيعةً تعُمُّ، ولا عميـــاءَ إلاَّ تَجَلَّتِ[٢]

١١ـ تمنَّيتُهـا حتَّى إذا مـا رأيتُهـا رأيتُ المنايا شُرَّعاً قـد أظلَّتِ[٣]

١٢ـ كأنِّي أُنـادي صخرةً حينَ أعْرَضَتْ من الصُّمِّ لو تَمشي بها العُصمُ زَلَّتِ[٤]

١٣ـ صفوحـاً فما تلقـاكَ إلا بخيلـةً فمن ملَّ مِنها ذلكَ الوصلَ ملَّتِ

١٤ـ أباحَتْ حِمَىً لم يَرْعَهُ النَّاسُ قبلها وحلَّت تِلاعاً لم تكن قبلُ حُلَّتِ[٥]

١٥ـ فليت قَلوصي عنـدَ عزَّة قُيِّـدَتْ بحبلٍ ضعيفٍ حُـزَّ مِنهـا فَضلَّتِ

١٦ـ وغـودر في الحيِّ المقيمين رحلُهـا وكانَ لهـا بـاغٍ سـواي فبلَّتِ[٦]

١٧ـ وكنتُ كذي رجلين: رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمـان فشلَّتِ

١٨ـ وكنتُ كـذاتِ الظلع لمَّا تحاملَتْ على ظلعها بعد العثار استقلَّتِ[٧]

١٩ـ أُريـد الثَّواء عنـدهـا، وأظنُّهـا إذا ما أطلنا عندَها المُكْثَ ملَّتِ[٨]

٢٠ـ فما أنْصَفت، أمَّا النسـاءَ فبغَّضَتْ إليَّ، وأمَّـا بـالنَّوال فضنَّتِ[٩]

---

(١) وطَّن نفسه على الشيء : أي حملها عليه حتى تذلَّ له وتخضع .

(٢) ميعة الشيء : أوله أو معظمه . تعمّ : تتمـل . العميـاء : الضلالـة والجهـالـة . تجلّت : انكشفت وانفرجت .

(٣) المنايا : جمع مية ، الموت . شرَّعاً : مسدَّدة ، موجَّهة .

(٤) الصمّ : الصخـور الصلبـة المصمتـة . العصم : جمـع عصماء ، والأعصم من الظبـاء والـوعـول مـا في ذراعـه أو إحداهما بياض وسائره أحمر أو أسود . زلَّت : زلقت .

(٥) التلاع : جمع تلعة ، الأرض المرتفعة .

(٦) بلت : هامت ضالة على وجهها .

(٧) كذات الظلع : كالناقة العرجاء . تحاملت : تكلّفت المشي بمشقة . استقلَّت : ذهبت وارتحلت .

(٨) الثَّواء : الإقامة . المُكث : البقاء .

(٩) النوال : العطاء ، والمقصود به الوصال .

٢١ ـ يكلفُهـا الغَيرانُ شَتمي، ومـا بهـا هَواني، ولكن للمليـك استـذَلَّت[(١)]

٢٢ ـ هَنيئـاً مريئـاً ـ غيرَ داءٍ مخـامرٍ ـ لِعَـزَّةَ مِن أعراضنـا مـا استحلَّت[(٢)]

٢٣ ـ فـواللهِ مـاقـاربْتُ إلا تبـاعَـدَتْ بِصَرْمٍ، ولا أكثرتُ إلا أقلَّت[(٣)]

٢٤ ـ وكنّـا سَلَكنـا في صَعود من الهـوى فلمَّـا تَـوافَيْنـا: ثَبَتُّ وزَلَّتِ

٢٥ ـ وكنّـا عَقَـدْنـا عُقْـدةَ الوصل بيننـا فلمَّـا تـواثَقْنـا: شَـدَدْتُ وحَلَّتِ

٢٦ ـ فـإنْ تكُن العُتْبَى فـأهلاً ومرحبـاً وحَقَّت لها العُتْبَى لـدَينـا وقَلَّتِ[(٤)]

٢٧ ـ وإنْ تكُنِ الأُخرى، فـإنَّ وراءنـا مَنادحَ لوسارتْ بها العِيسُ كَلَّت[(٥)]

٢٨ ـ خليليَّ إنَّ الحـاجبيَّـةَ طَلَّحَتْ قلـوصيكمـا، ونـاقتي قـد أكَلَّتِ[(٦)]

٢٩ ـ فلا يَبْعَـدَنْ وصلٌ لِعَزَّة، أصبحت بعـاقبـةٍ أسبـابُـه قـد تـولَّتِ[(٧)]

٣٠ ـ أسيئي بنـا أو أحْسِني، لاملـومـةً لـدينـا، ولا مقليـةً إن تقلَّتِ[(٨)]

٣١ ـ ولكن أنيلي، واذكري من مَـودَّةٍ لنـا خُلَّـةً كانت لـديكم فطُلَّتِ[(٩)]

٣٢ ـ فـإني وإن صَـدَّت لَمُثْنٍ وصـادق عليهـا، بمـا كانت إلينـا أزلَّتِ[(١٠)]

---

(١) الغيران: ذو الغيرة، يقصد به زوج عزّة. المليك: أي المالك الذي يملك وهو زوج عزّة. استـذلّت: هانت وخضعت.

(٢) مخامر: مخالط ومداخل. من أعراضنا ما استحلّت: يقصد شتيمته في عرضه إطاعة لأمر زوجها.

(٣) صَرْم: قطيعة وهجران.

(٤) العتبى: الرضى وإزالة اللوم.

(٥) مـادح: جمع مندوحة وهي الأرض الواسعة البعيدة. العيس جمع عيساء وأعيس: الإبل البيض الكريمة يخالطها شقرة أو ظلمة خفيفة كلّت: تعبت من السير.

(٦) الحاجبيه: يقصد بها عزّة. طلّحت وأكلّت: أتعبت وأجهدت.

(٧) فلا يبعدن: فلا يهلكن. بعاقبة: في ختام الأمر.

(٨) مقلية: مبغضة ومكروهة من القلى، أي البغض. تقلّت: تبغضت.

(٩) الخلّة: المحبة والصداقة. طلّت: أي منعت وأهدرت.

(١٠) أزلت: أسدت وأعطت.

٣٣ ـ فلا يحسَبِ الواشون أنَّ صبابتي   بعــــزَّة كانت غمْرةً فتجَلَّتِ[١]
٣٤ ـ فأصبحتُ قد أبلَلْتُ من دَنَفٍ بها   كما أُدْنِفَتْ هَيماءُ ثمَّ استبلَّتِ[٢]
٣٥ ـ فوالله ثمَّ اللهِ ما حلَّ قبلها   ولا بعدَها من خُلَّةٍ حيثُ حلَّتِ[٣]
٣٦ ـ وما مرَّ مِن يومٍ عليَّ كيومها   وإن عظُمت أيامُ أخرى وجلَّتِ[٤]
٣٧ ـ وأضحت بأعلى شاهقٍ من فؤادِه   فلا القلبُ يسلاها ولا العينُ ملَّتِ[٥]
٣٨ ـ فيا عجباً للقلبِ كيفَ اعترافُه   وللنَّفسِ لَمَّا وُطِّنَتْ كيفَ ذَلَّتِ[٦]
٣٩ ـ وإني وتهيامي بعزَّةَ بعدما   تخلَّيتُ ممَّا بيننا وتخلَّتِ[٧]
٤٠ ـ لكالمُرتجي ظِلَّ الغَمامةِ، كلَّما   تبوَّأ منها للمقيلِ اضمَحلَّتِ[٨]
٤١ ـ كأني وإيَّاها سحابةُ مُمحلٍ   رجاها، فلما جاوزتْهُ استهلَّتِ[٩]
٤٢ ـ فإن سألَ الواشون فيمَ هَجَرتها   فقُلْ نفسُ حُرٍّ سُلِّيَتْ فتسَلَّتِ

☆ ☆ ☆

ديوان كثيّر عزّة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافه ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٩٥ ـ ١٠٣

---

(١) الواشون : الذين يشون بالنمية ويزينون الكذب . غمرة : شدّة تجلّت : انفرجت .

(٢) أبللت : شفيت . الدنف : المرض الملازم . الهيماء : الناقة التي أخذها الهيام ، وهو داء يصيب الإبل فنظلّ بهم في الأرض دون أن ترعى حتى تموت . استبلّت : برئت وشفيت .

(٣) الخُلّة : الخليلة ، أي الحبيبة والصديقة .

(٤) أيام أخرى : أي أيام امرأة أخرى . جلّت : عظمت .

(٥) الشاهق : المرتفع . يسلاها ـ ينساها ، ويروى البيت هكذا :

وللعين أسراب، إذا ما ذكرتها   وللقلب وسواس إذا العين ملّتِ

(٦) اعترافه : اصطباره . ذلّت : خضعت واستسلمت وأطاعت .

(٧) التهيام : شدّة الهيام والعشق بما يشبه الجنون . تخلّت : تركت .

(٨) تبوأ المكان : اتخذه للإقامة . اضمحلّت الغمامة : انقشعت وذهبت .

(٩) سحابة ممحل : سحابة بلد ممحل (المحل : الجدب وانقطاع المطر وخلوّ الأرض من الكلأ) استهلّت ـ أمطرت وصبّت ماءها .

الفصل الثاني

النصوص النثرية

- ١ -

فلَمَّا دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهّز للحجّ وأمر النـاسَ بـالجهـاز لـه . وخرج رسول الله ﷺ إلى الحجّ لخمسٍ ليـالٍ بقين من ذي القعدة . ثمَّ مضى رسول الله على حجِّه ، فأرى الناسَ مناسكهم ، وأعلمهم سُنَنَ حجِّهم . وخطبَ الناسَ خطبتَـهُ التي بيّنَ فيها ما بيّن . وقال :

« الحمدُ لله نحمَـدُه ونستعينُـه ونستغفرُه ونتـوبُ إليـه ، ونعـوذُ بـاللهِ مِن شُرورِ أنفسنا ، ومن سيِّئات أعمالنا ، من يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ لـه ، ومن يُضلل فلا هـاديَ لـه ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لـه ، وأنَّ محمَّـداً عبـدُه ورسولُـه . أُوصيكم ـ عبـادَ الله ـ بتقوى الله ، وأحثُّكم على طاعتِه ، وأستفتحُ بالذي هو خير . أمَّا بَعْدُ أيُّها النَّاسُ ! اسمعوا مني أُبيِّنُ لكُم ، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعدَ عامي هذا في موقفي هذا . أيُّهـا النَّاسُ ! إنَّ دمـاءكم وأموالَكم عليكم حَرامٌ ، إلى أنْ تَلْقَوا ربَّكم ، كَحُرمـة يومكم هـذا ، في شهركم هـذا ، في بلـدكم هـذا ، ألا هَـلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهم اشهـدْ . فَمَن كانَتْ عنـدَه أمـانَـةٌ فَلْيؤدِّها إلى الذي ائتمنه عليها . وإنَّ رِبا الجاهلية موضوع[1] ، وإنَّ أول رباً أبدأُ بهِ رِبـا عمّي العبّـاس بن عبـد المطلب . وإنَّ دمـاءَ الجـاهليـة موضوعـةٌ ، وأولُ دَمٍ أبـدأُ بـهِ دمُ عـامر بن ربيعـةَ بن الحـارث بنِ عبـد المطلب . وإنَّ مـآثرَ الجـاهليـة مـوضـوعـةٌ غير السِّدانة[2] والسِّقاية[3] . والعَمْدُ قَوَد[4] ، وشِبْه العَمْد ما قُتِل بالعصا والحَجر وفيه مـائـة بعير ، فَمَن زادَ فهو من أهل الجاهلية . أيُّها النَّاسُ ! إنَّ الشيطانَ قد يئس أن يُعْبَد في أرضكم هذه ، ولكنَّه قد رَضي أنْ يُطـاع فيما سوى ذلـك ممـا تَحْقِرون من أعمـالكم . أيُّهـا

---

(١) موضوع : ساقط ومحرم .

(٢) السِّدانة : خدمة الكعبة .

(٣) السِّقاية : سقاية الحجاج .

(٤) العَمْد : القتل المتعمد . القَوَد : قتل القاتل بمن قتل .

النَّاسَ ! ﴿ إنَّما النَّسيئ[1] زيادةٌ في الكُفرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذينَ كفروا يُحِلُّونَهُ عاماً ويُحَرِّمونَهُ عاماً لِيواطِئوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ فيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ ﴾ . إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئته يوم خَلَقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ ، ﴿ إنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عِندَ الله اثنا عَشَرَ شَهراً فِي كِتابِ اللهِ يومَ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ، منها أربعةٌ حُرُمٌ ﴾ : ثلاثةٌ متواليات وواحدٌ فَرْدٌ . ذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هَل بَلَّغْتُ ؟ اللَّهم اشهَدْ . أيُّها النَّاسُ ! إنَّ لِنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حقّ ، لكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فُرشكم غيرَكم ، ولا يُدْخلْنَ أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتينَ بفاحشةٍ مبيَّنة ، فإن فَعَلْنَ فإنَّ اللهَ قد أذِنَ لكم أن تَعْضلوهن[2] وتهجروهنّ في المضاجع وتضرِبوهن ضَرباً غيرَ مُبرِّح[3] . فإن انتهين وأطعْنَكم فعليكم رزقُهنّ وكسوتُهنّ بالمعروف . وإنَّما النساءَ عندكم عَوَانٍ[4] ، لا يملكن لأنفسهنَّ شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجَهُنَّ بكلمةِ الله ، فاتَّقوا الله في النِّساء ، واستوصوا بهنَّ خيراً ، ألا هَلْ بَلَّغْتَ ؟ اللَّهُم اشهَدْ . أيُّها النَّاسُ ! إنَّما المؤمنون إخوةٌ ، ولا يحلُّ لامرئٍ مسلمٍ مالُ أخيه إلا عَن طيبِ نفسٍ مِنه ، ألا هل بَلَّغْتُ ؟ اللَّهم اشهَدْ . فلا ترجعُنَّ بعدي كفَّاراً يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ ، فإني قد تركْتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تَضِلُّوا بعده : كتابَ الله ، ألا هَلْ بلَّغْتُ ؟ اللَّهُم اشهَدْ . أيُّها النَّاسُ ! إنَّ ربَّكُم واحدٌ وإن أباكم واحدٌ ، كلُّكم لآدمَ ، وآدمُ مِن تراب . أكرمكم عندَ الله أتقاكم ، إنَّ الله عليمٌ خبير . ليسَ لعربيٍّ على عَجَميٍّ فضلٌ إلا بالتَّقوى ، ألا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُم اشهَدْ . قالوا : نَعَم ، قالَ : فَلْيُبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ . أيُّها النَّاسُ ! إنَّ الله قسم لكلِّ وارثٍ نصيبَه من الميراث ،

(١) النَّسيئ : شهر الحرم كانوا يحرِّمونه عاماً ، ويحلُّونه عاماً آخر إن أرادوا الإغارة ، فيقولون إنه بعد شهر صفر ويؤجِّلونه .

(٢) تعضلوهن : تضيقوا عليهن .

(٣) الضرب غير المبرِّح : الضرب الخفيف .

(٤) عوان : جمع عانية وهي الأسيرة ، أي هن عندكم بمنزلة الأسيرات .

فلا تجوزُ وصيةٌ لِوارثٍ في أكثر من الثُّلث . والولدُ لِلفراش وللعاهِرِ الْحَجَر[1] ، من ادَّعى إلى غير أبيه أو تولّى غيرَ مواليه فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صَرْف[2] ولا عَدْل[3] . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

☆ ☆ ☆

تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠١ ، والبيان والتبيين ، ٣١/٢ ، والعقد الفريد ، ٥٧/٤

جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ، البابي الحلبي بمصر ، ط أولى ، ١٣٥٢ هـ/ ١٩٢٣ م ، ٥٧/١-٥٩

(١) للفراش : أي لصاحبه ، وللعاهر الحجر : أي أن هذا مقضي به رغم أنفها أو لعله يشير إلى رجمها .

(٢) صرف : توبة .

(٣) العدل : الفدية .

- ٢ -

خطب أبو بكر الصديق(☆) المسلمين يومَ السقيفة :

حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثمَّ قالَ أيُّها النَّاسُ نحنُ المهاجرونَ وأوَّلُ النَّاسِ إسلاماً وأكرمُهُم أحساباً ، وأوسطُهم داراً ، وأحسنُهم وجوهاً ، وأكثرُ النَّاسِ ولادةً في العرب ، وأمسُّهم رَحِماً برسول الله ﷺ ، أسْلَمْنا قَبْلَكُم ، وقُدِّمْنا في القرآن عليكم فقالَ تبارَكَ وتعالى : ﴿ والسَّابقونَ الأَولونَ من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسانٍ ﴾ فنحنُ المهاجرون وأنتمُ الأنصارُ ، إخوانُنا في الدِّين ، وشركاؤنا في الفَيء(١) ، وأنصارُنا على العدوِّ ، آويتم وواسيتم فجزاكُم الله خيراً ، فنحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوزراء ، لا تَدينُ العربُ إلا لهذا الحيِّ من قريش فلا تَنْفَسوا(٢) على إخوانكم المهاجرين ما مَنَحهم اللهُ مِن فضلِه .

☆ ☆ ☆

جمهرة خطب العرب ، ٦٣/١

(☆) هو عبد الله بن أبي قحافة ، صحابي جليل ، ولد بعد مولد الرسول ﷺ بستين وبضعة أشهر ، ونشأ في مكة مضرب المثل في الخلق والحلم والعفة . صحب الرسول الكريم ﷺ قبل البعثة وآمن بما أنزل عليه وصدّقه حتى سُمّي الصِّدِّيق . شهد مع الرسول أكثر الغزوات ، وبذل في سبيل الإسلام مالاً كثيراً . كان ثاني اثنين مع الرسول حين الهجرة إلى المدينة . صار خليفة لرسول الله بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى . عرف بالفصاحة وكان أعلم القوم بالأنساب والأيام . توفي سنة ١٣ هـ .

(١) الغنيمة والخراج .

(٢) نفس عليه خيراً حسده عليه ، ولم يَرَه له أهلاً .

-٣-

خطبَ الإمـامُ عليّ بن أبي طـالب[☆] النـاس يحثُّهم على الجهـاد ويقرِّعهم لتخـاذلهم عنه :

أمَّا بعدُ فإنَّ الجهادَ بابٌ مِن أبوابِ الجنَّة فَتَحه اللهُ لخـاصَّـة أوليـائـه . وهو لبـاسُ التقوى ودِرعُ الله الحصينةُ ، وجُنَّتُهُ الوثيقـةُ[١] ، فَمَن تركَـهُ رغبـةً عنـهُ ألْبَسَـهُ اللهُ ثوبَ الذلِّ وشَمْلة البلاء . ودُيِّث بالصَّغـار والقَماء[٢] ، وضُربَ على قلبـه بـالأسـداد[٣] ، وأُدِيلَ الحقُّ منه بتضييع الجهاد ، وسِيْمَ الخسفَ ، ومُنِع النَّصَف[٤] .

ألا وإنِّي قـد دَعَوتُكُمْ إلى قِتـال هؤلاء القوم ليلاً ونهـاراً ، وسِرّاً وإعـلانـاً ، وقلتُ لكُم : اغزوهُمْ قبـلَ أنْ يغـزوكم ، فـوالله مـا غُـزِيَ قـومٌ قـطٌّ في عُقْرِ دارِهم إلاَّ ذَلُّـوا[٥] ، فتواكلتُم وتخاذلتُم حتَّى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ[٦] ، ومُلِكتْ عليكُم الأوطانُ .

هذا أخو غامدٍ قد وَرَدَت خَيلُهُ الأنبارَ[٧] ، وقد قَتَلَ حسَّـانَ بنَ حسَّـانَ البكريَّ ،

(☆) هـو عليّ بن أبي طـالب ابن عمّ الرسـول ﷺ . ولـد قبيـل البعثـة بتسـع سنـوات ، ونشـأ في بيت الرسول ﷺ . كان شجاعاً بليغاً وسيِّداً من سادات المهاجرين . تزوَّج فـاطمـة بنت محمد عليـه الصَّلاة والسلام ، وأنجب منها الحسن والحسين ، بويع بالخلافة بعد استشهاد عثمان عـام ٣٥ هـ ، فثـار بنو أميـة في وجهه مع بعض أصحاب المنافع . وبقي يجـالـد عن حقِّه الأمويين والثـائرين من الخوارج حتى لقي وجه ربِّه شهيداً على يد عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ .

(١) جُنَّته : وقايته .

(٢) ديِّث : ذُلِّل . القَماء : الذلّ .

(٣) الأسداد : الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد .

(٤) سيم الخسف : كُلِّف المشقة . النَّصف : العدل .

(٥) عقر الدار : وسطها وأصلها .

(٦) تواكلتم : ألقى كلّ منكم الأمر إلى صاحبه . شُنَّت عليكم الغارات : أتتكم متفرقة من كلّ جانب .

(٧) أخو غامد : سفيـان بن عوف بَعَثَـه معـاويـة لتشنّ الغـارات على العراق . الأنبـار : بلـدة على الشـاطئ الشرقي للفرات .

وأزالَ خيلكم عن مسالحها[1] . ولقد بلغني أنَّ الرَّجلَ منهم كان يدخُلُ على المرأةِ المسلمة ، والأخرى المعاهدة ، فينتزعُ حجْلَها وقُلْبَها ورعاثَها[2] ، ما تمْنَعُ منه إلاَّ بالاسترجاعِ والاسترحامِ[3] ، ثُمَّ انصرفوا وافرين[4] ، ما نالَ رجلاً منهم كَلْم[5] ، ولا أُريقَ لهم دَمٌ ، فلو أنَّ مسلماً ماتَ مِن بعد هذا أسفاً ما كانَ به ملوماً ، بل كانَ به جديراً .

فيا عَجَباً ـ واللهِ ـ يُميتُ القلبَ ويجلِبُ الهمَّ ، اجتماعُ هؤلاء القوم على باطلِهم ، وتفرُّقكم عن حقِّكم ، فقُبْحاً لكم وتَرَحاً[6] ، حين صِرْتُم غَرَضاً يُرمى : يُغَارُ عليكم ولا تُغيرون ، وتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُون ، ويُعْصَى اللهُ وتَرْضَون .

فإذا أمرتكُم بالسَّير إليهم في أيام الصَّيف قلتُمْ هذه حمَّارةُ القيظ[7] ، أمْهلْنا يَسَبَّخْ عنَّا الْحَرُّ[8] ، وإذا أمرتكم بالسَّير إليهم في الشِّتاء قُلتُمْ هذهِ صبَّارة القرّ[9] ، أمهلنا يَنْسَلِخ عنَّا البردُ ، كلُّ هذا فِراراً من الحرِّ والقُرِّ ، فأنتم ـ والله ـ من السَّيف أفرُّ .

يا أشباهَ الرِّجالِ ولا رجالَ ، حُلومُ الأطفالِ وعُقول ربَّات الحِجال[10] ، لَوَدِدْتُ أنّي لم أرَكُم ولم أعرفكم ! معرفةٌ واللهِ جرَّتْ نَدَماً وأعقبت سَدَماً[11]

---

(١) المسالح : ج مسلحة : وهي الثغر أو المرقب حيث يخشى مجيء الأعداء .
(٢) الحِجْل : الخلخال . القُلْب . السِّوار . الرِّعات : ج رعثة : القرط .
(٣) الاسترجاع : ترديد الصوت بالبكاء .
(٤) وافرين : تامين .
(٥) الكلم : الجرح .
(٦) الترح : الهمّ أو الفقر .
(٧) حمَّارة القيظ : شدَّة الحرّ .
(٨) يسبخ : يخف ويسكن .
(٩) صبَّارة القرّ : شدَّة البرد .
(١٠) الحجال : ج حجلة : قبّة تضرب للعروس . وربَّات الحجال : النساء .
(١١) السدم : الهمّ مع أسف أو غيظ .

قـاتلَكم اللهُ ، لقـد مـلأتم قلبي قَيْحـاً ، وشَحَنْتُم صـدري غيظـاً ، وجرَّعتمـوني نُغَبَ التَّهْمَـام أنفـاسـاً[1] ، وأفسـدتم عليَّ بـالعِصيـان والخِـذلان ، حتَّى قـالَتْ قريشٌ إنَّ ابن أبي طالب رجلٌ شجاعٌ ولكن لا علمَ له بالحرب .

للهِ أبوهم ! وهلْ أحَدٌ مِنهم أشدُّ لهـا مِراسـاً[2] ، وأقـدمُ فيهـا مَقـامـاً مِنّي ؟! لقـد نَهَضْتُ فيها وما بَلَغتُ العِشْرين ، وهأنـذا قـد ذرَّفْتُ على السِّتِّين[3] ، ولكن لا رأيَ لِمَن لا يُطَاعُ .

☆ ☆ ☆

جمهرة خطب العرب ، ٢٣٩/١ ـ ٢٤٥

---

(١) النغب : ج نغبة : وهي الجرعة . التهمام : الهم . أنفاساً : جرعة بعد جرعة .

(٢) المراس : المزاولة والمعاناة .

(٣) ذرفت على الستين : زدت عليها .

- ٤ -

كتبَ عمر بن الخطّاب(☆) إلى أبي موسى الأشعريّ يعرِّفهُ أُصولَ الحكم :

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعدُ ، فإنَّ القضاءَ فريضةٌ مُحْكَمة(١) ، وسُنَّةٌ متَّبعةٌ ، فافْهَمْ إذا أُدْلِي إليك(٢) فإنَّه لا ينفعُ تكلُّمٌ بحقٍّ لا نَفَاذَ لَهُ ، آسِ(٣) بين النَّاس في مَجْلِسك وَوَجْهك حتَّى لا يطمَعَ شريفٌ في حَيْفِكَ ، ولا يخافَ ضعيفٌ من جَوْرِك(٤) . البيِّنةُ(٥) على مَن ادَّعى واليمينُ على مَنْ أنْكَرَ ، والصُّلحُ جائزٌ بينَ المسلمين إلا صُلحاً حَرَّمَ حلالاً أو أحلَّ حراماً . ولا يَمْنَعَنَّكَ قضاءٌ قضيتَهُ بالأمسِ فراجَعْتَ فيه نَفْسَكَ ، وهُدِيتَ فيه لِرُشْدِكَ ، أنْ تَرْجِعَ عنه إلى الحقِّ ، فإنَّ الحقَّ قديمٌ ، ومراجعةُ الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطل .

الفَهْمَ الفهم(٦) فيما يَتَلَجْلَجُ(٧) في صَدْرِك ممّا لم يبلُغْكَ في كتاب الله ولا في سُنَّةِ رسولِ الله ، اعرفِ الأمثالَ والأشباهَ ، وقِسِ الأمورَ عِنْدَ ذلك(٨) ، ثم اعْمِد إلى أحبِّها إلى

(☆) هو عمر بن الخطّاب من بني عدي من قريش . عرف في الجاهلية بقوته وشجاعته وحزمه . دخل الإسلام قبل الهجرة بأربع سنين فعزَّ به الدين الجديد استجابة لدعوة الرسول ﷺ . شهد مع الرسول جميع غزواته . عهد إليه أبو بكر بالخلافة من بعده فقام بأمر المسلمين خير قيام . وعرف بالعدل والرحمة والفصاحة والتذوق الأدبي . اغتاله أبو لؤلؤة المجوسي سنة ٢٣ للهجرة .

(١) محكمة : أحكمها الله في كتابه وقضى بها .

(٢) أدلى إليك : بُيِّن بَيْنَ يديك من الحجج .

(٣) آس بين الناس : سوِّ بينهم في المعاملة أي اجعل بعضهم لبعض أسوة .

(٤) الْحَيف والجور بمعنى متشابه أي الْمَيْل عن العدل والاستقامة .

(٥) البيِّنة : الحجة والدليل على الحق المدعى به .

(٦) الفهم الفهم : عليك بالفهم للوصول إلى الحكم المنصف .

(٧) يتلجلج : يضطرب ويحار . ومعنى العبارة : استخدم الفهم وما يهدي إليه العقل عند النص .

(٨) يوصيه بالقياس بعد أن أوصاه بالاجتهاد .

اللهِ ، وأشْبَهها بالحقِّ فيما ترى واجعل للمدَّعي حقّاً غائباً أو بيِّنةً ، أمَداً[١] ينتهي إليـه ، فإنْ أحْضَرَ بيِّنَتَه أخَـذْتَ لَـهُ بحقِّـه ، وإلاّ وجَّهتَ عليـه القضـاء[٢] . فـإنَّ ذلـك أنفى للشكِّ ، وأجلى للعَمى ، وأبلغُ في العُذْر .

المسلمون عُدول[٣] بعضُهم على بعضٍ ، إلا مجلوداً في حـدٍّ[٤] أو مُجرَّبـاً عليـه شهـادةُ زُورٍ أو ظنينـاً في ولاءٍ أو قرابـةٍ ، فـإنَّ اللهَ قـد تـولّى مِنكُمُ السَّرائِرَ ، ودَرأ عنكُمْ بالبيِّنات والأيمان[٥] .

ثُمَّ إيَّـاك والغَلَق[٦] والضَّجَرَ ، والتَّـأذِّيَ بـالنَّـاس ، والتَّنكُّرَ لِلْخُصوم[٧] في مـواطِنِ الحقِّ التي يوجبُ اللهُ بها الأجْرَ ، ويُحْسنُ بها الذُّخْرَ ، إنَّه من يُخْلِصْ نيَّته فيما بينه وبينَ اللهِ تباركَ وتَعَالى ، ولو على نفسِه يَكْفِه اللهُ ما بينهُ وبينَ النَّاس . ومَنْ تَزَيَّن للناس بما يعلمُ اللهُ خِلافَهُ مِنه هَتَكَ سِتْرَهُ ، وأبدَى فِعْلَهُ ، فَمَا ظَنُّـكَ بثوابٍ عنـدَ الله[٨] في عـاجلِ رِزقِهِ وخزائنِ رَحْمته . والسَّلامُ عليكَ .

☆ ☆ ☆

الكامل للمبرد ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د . ت ، ٩/١

---

(١) الأمد : الفسحة في الوقت أو المهلة .
(٢) وجّهت عليه القضاء : حكمت عليه .
(٣) عُدول : ج عَدل : وهو الموتوق بشهادته .
(٤) المجلود : في حدّ ، الذي أوقعت به العقوبة المنصوص عليها شرعاً .
(٥) درأ عنه الضرر : دفعه عنه . والمعنى أن الله درأ عنكم العقوبة بما تبدونه من الحجج القاطعة أو باليمين .
(٦) الغلق : ضيق النفس عن الاحتمال .
(٧) التنكر للخصوم : التجهم للمتخاصمين والانصراف عنهم وعن الحكومة بينهم .
(٨) فما ظنك بثواب عند الله : أي فما ظنك بثواب تصيبه من عند الله بمقابل إخلاص النيّة ونقاء السريرة .

- ٥ -

خطب زياد بن أبيه(☆) حين ولي العراق :

أما بعدُ فإنَّ الجهالة الجهلاء والضّلالة العمياء ، والغيَّ الموفي بأهله على النّار ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم : من الأمور التي ينبُت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعدَّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمديّ الذي لا يزول . إنّه ليس منكم إلاّ من طرّفت عينَه الدنيا وسدّت مسامعَه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تُسبقوا إليه : مِنْ تَرْكِكم الضعيفَ يُقْهَر ، والضعيفةَ المسلوبة في النّهار لا تُنْصَر ، والعددُ غيرُ قليل ، والجمعُ غيرُ مفترق . ألم يكن منكم نُهاة يمنعون الغُواة عن دَلج الليل وغارة النهار ! قرّبتم القرابة ! وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتُغْضُون على النُّكر . كلُّ امرئٍ منكم يردُّ عن سفيهه ، صُنْعَ مَنْ لا يخاف عقاباً ، ولا يرجو مَعاداً . فلم يزل بهم ما تَرَون من قيامكم دُونهم حتّى انتهكوا حَرَم الإسلام ثمَّ أطرقوا وراءكم كُنوساً(١) في مكانس الرِّيب . حرام عليَّ الطعام والشراب حتّى أضعَ هذه المواخير بالأرض هدماً وإحراقاً ! إنّي رأيت آخر هذا الأمر لا يصلُح إلا بما صلُح به أوّله : لينٌ في غير ضعف ، وشدّة في غير عنف ، وإني لأقسم بالله لآخُذَنَّ الوليّ بالمولى والمقيمَ بالظاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقى الرجلُ أخاه

(☆) هو زياد بن سُميَّة ولد في السنة الأولى للهجرة ، ونشأ غلاماً فصيحاً شجاعاً . صار كاتباً لأبي موسى الأشعري والي البصرة في عهد عمر بن الخطّاب ، فأظهر براعة وذكاء حتى ذهب أبو سفيان بن حرب إلى إلحاقه بنسبه مدّعياً أنه لم يستلحقه بنسبه أنفة من العار وخشية من عمر . تولّى لعليّ بن أبي طالب أعمالاً منها إخماد الاضطرابات في فارس وغيرها . وصار بعد ذلك والياً على البصرة وخراسان والكوفة لدى معاوية الذي اعترف به أخاً له . وطّد لمعاوية المُلك وشمل خوفه جميع الناس ، وتوفي سنة ٥٣ هـ .

(١) جمع كانس أي مستتر ـ ومكانس الرِّيب مكامنها المستترة .

فيقول « انجُ سعدُ فقد هَلَكَ سعيد »[١] ، أو تستقيم لي قناتكم . إنّ كِذْبَةَ الأمير بلقاء[٢] مشهورة ، فإذا تعلّقتم عليّ بكِذبة فقد حلّت لكم معصيتي . وقد كان بيني وبين قوم إحَنٌ[٣] فجعلت ذلك دَبْرَ[٤] أذني وتحت قدمي . إنّي لوعلمت أنّ أحدَكم قد قتله السُّلُّ من بغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له سِتراً ، حتّى يُبْدِيَ لي صفحته فإذا فعل ذلك لم أناظره . فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم ، فرُبَّ مبتئس بقدومنا سيسر ، ومسرور بقدومنا سيبتئس ! أيُّها النّاس إنا قد أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادة[٥] ، نسوسُكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوّلنا ، فلنا عليكم السمعُ والطّاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدلُ فيما وَلينا ، فاستوجبوا عدلنا وفَيْئَنا بمناصحتكم لنا ...

☆ ☆ ☆

جمهرة خطب العرب ، ٢/٢٥٧ ـ ٢٦١

(١) مثل يضرب في تتابع الشر .

(٢) أي كالدابة البلقاء لأن شيتها تشهرها .

(٣) أحقاد .

(٤) خلف .

(٥) مدافعين .

وخَطَبَ الحجَّاجُ بنُ يوسفَ(☆) النَّاسَ في مسجد الكوفة حين وليَ العراق :

أنـا ابنُ جَـلا وطـلاَّعُ الثَّنـايـا   متَّى أضـعِ العِمامَـةَ تعرفـوني(١)

ياأهلَ الكوفةِ ، إنِّي لأرى رؤوساً قد أيْنَعَتْ وحانَ قِطافُهـا(٢) وإنِّي لصاحِبُهـا ، وكأنِّي أنظرُ إلى الدِّماء بينَ العمائمِ واللِّحى(٣) .

هـذا أوانُ الشـدِّ فـاشتـدِّي زِيَمْ   قـد لفَّهـا الليـلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ(٤)

ليسَ براعي إبـــــلٍ ولا غَنَمْ   ولا بِجَـــــزَّارٍ على ظهرِ وَضَمْ(٥)

(☆) ولد سنة ٤١ هـ في مدينة الطائف ، سمّته أمه (كُلَيباً) ولقَّبته بالحجَّاج تفاؤلاً بأن يكون ورعاً كثير الحجّ . نشأ فصيحاً حافظاً للقرآن محترفاً للتعليم . طمح إلى المجد فترك تعليم الصنيان وانخرط في جيش يزيد بن معاوية وغيره من خلفاء بني أمية . عمل شرطياً تحت إمرة روح بن زنباع فأظهر قسوة وبأساً . وجّهه عبد الملك بن مروان إلى قتال عبد الله بن الزبير فنجح في إخماد ثورته وقتله سنة ٧٣ هـ . وولي أمر الحجاز واليمن بعد ذلك مدة عامين . ولما اشتدت الفتن في العراق بعد موت واليها بشر بن مروان أمره عبد الملك بالتوجّه إلى الكوفة والياً وقائداً مطلق الصلاحية ، فأبلى في قتال الخوارج بلاءً حسناً ، ووطّد لعبد الملك أركان الدولة مدة عشرين عاماً . توفي سنة ٩٥ هـ .

(١) هذا البيت لسُحيم بن وثيل الرياحي وقد تمثّل به الحجّاج . ابن جلا : من الجلاء والوضوح يريد أنه واضح الأمر . الثنايا : ج ثنيَّة : الطريق في الجبل . يريد أنه رجل جلد يقوم على الشاق من الأمر . أضع : أنزل وأرفع .

(٢) أينعت : نضجت . قطافها : قطفها . يشبه الرؤوس بالثمار اليانعة .

(٣) كناية عن الرقبة .

(٤) الشدّ : الاشتداد في السير . زيم : اسم فرس أو ناقة ، أو جمع زيمة وهي الجماعة من الإبل . لفّها : جمعها . الحطم : الذي لا يبقي من السير شيئاً .

(٥) الوضم : خشبة يقطع عليها اللحم . يشبّه الحجاج نفسه في الشدة والعنف بالرجل المقصود في هذين البيتين وهو شُرَيح بن ضُبَيعة وكان قد عزا اليمن بجموع من ربيعة فغنم وسبى ، وفي عودته ضلّ وجماعته الطريق ، وهلك منهم ناس كثير عطشاً ، فجعل شُرَيحٌ يسوق القوم سوقاً عنيفاً حتّى نجا من بقي معه ، فقال الشاعر وهو رُويشد بن رميض العنبري هذا الشعر فيه ، وصار يلقب بالحطم .

قـد لَفَّهـا الليـلُ بعَصْلبيٍّ أروعَ خَرَّاجٍ مِن الـدَّوِيِّ

مُهاجرٍ ليسَ بأعرابيٍّ[(١)]

قد شَمَّرتْ عن سـاقهـا فشُـدُّوا وَجَـدَّت الحربُ بكم فجِـدُّوا[(٢)]

والقـوسُ فيهـا وَتَرٌ عُرُدُّ مثـلُ ذِراعِ البَكْرِ أو أشـدُّ[(٣)]

لا بُدَّ مِمَّا ليسَ مِنه بُدُّ[(٤)]

إنِّي واللهِ يـا أهـلَ العراق مـا يُقَعْقَع لي بـالشِّنـان[(٥)] ، ولا يُغْمَـزُ جـانبي كتغماز التين[(٦)] ، ولقد فُرِرْتُ عن ذكاءٍ[(٧)] ، وفُتِّشْتُ عن تجربةٍ وإنَّ أميرَ المؤمنين[(٨)] ـ أطـالَ اللهُ بقـاءَهُ ـ نثرَ كِنـانَتَـه بينَ يَـديـه ، فَعَجم عِيْـدانَهـا[(٩)] ، فَـوَجـدني أمرَّهـا عُـوداً وأصْلَبَهـا

---

(١) العصلبي : الشديـد القوي . الأروع : الشجـاع والـذكي . الـدوي : المنسوب إلى الـدَّو وهو الصحراء التي لا يهتدي بها ولعله أراد بها الشدائد . ويريـد بقولـه : مهـاجر ليس بـأعرابي : أنـه ذو خبرة لهجرتـه من البادية إلى المدن .

(٢) شمرت عن ساقها : الضمير عائد على الحرب ، والتشمير عن الساق كناية أراد بهـا التهيؤ للأمر والانصراف إليه . جدَّت : اشتدت .

(٣) العُرُدّ : الشديد . البَكْر : الفتي من الإبل .

(٤) يتمثل الحجاج بهذا الشعر لبحرض أهل العراق على قتال الخوارج ويخوِّفهم من عصيان أوامر الخليفة .

(٥) القعقعة : صوت الأشياء اليابسة إذا حرِّكت . الشنان : ج شن : الجلـد اليـابس . يقعقع للإبل فتنفر . والمثل يضرب لمن لا يرهبه الوعيد .

(٦) يغمز التين ليجفف : ويريد أنه لا يسهل التأثير فيه .

(٧) فرّ الدابة : كشف عن أسنانها ليعرف سنّها ، يريد أنه اختبر فوجد ذكياً .

(٨) أمير المؤمنين : عبد الملك بن مروان .

(٩) عجم العود : مضغه ليمتحن صلابته .

مكسراً[1] ، فرمـاكم بي ، لأنكم طـالمـا أوضعتم في الفتنـة[2] ، واضطجعتمْ في مَراقـد الضَّلال[3] .

واللهِ لأحْـزِمَنَّكُم حَـزْمَ السَّلَمـة[4] ، ولأضْرِبَنَّكُم ضَرْبَ غرائِبِ الإبـلِ[5] ، فـإنكم لكأهلِ قريةٍ كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رِزقُها رَغَـداً من كلِّ مكانٍ ، فكَفَرت بـأنعُمِ اللهِ فأذاقهـا اللهُ لبـاسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون[6] . وإني والله مـا أقولُ إلا وَفَيْتُ ، ولا أهَمُّ إلا أمْضَيت[7] ، ولا أخْلُـقُ إلا فَرَيْت[8] ، وإنَّ أمير المـؤمنين أمرني بإعطـائكم أعطياتكم ، وأن أُوجِّهكم لِمحـاربـةِ عـدوِّكم مع المُهلب بن أبي صُفْرة[9] ، وإني أقسمُ بـاللهِ لا أجدُ رجلاً تخلَّفَ بعدَ أخذِ عطائِه بثلاثةِ أيامٍ إلا ضَرَبتُ عُنُقَهُ .

☆ ☆ ☆

جمهرة خطب العرب ، ٢٧٤/٢ ـ ٢٧٧

---

(١) أمرّهـا : اقواهـا شبّـه نفسـه بـالسهم القـوي ، وأراد أنّ أمير المـؤمنين لم يختبره إلا بعـد أن اختبر رجـالاً كثيرين فوجده أصلحهم لهذا المنصب .

(٢) فرماكم بي : أرسلني إليكم . أوضعتم : أسرعتم من الإيضاع وهو ضرب من السَّير السريع .

(٣) استعارة أراد بها تعودهم الضلال والمروق .

(٤) السَّلَمـة : نـوع من الشجر تعصـب أغصـانـه وتضرب بـالعصي ليسقـط الـورق وتتهشم العيـدان.، يريـد لآخذنكم بالشدة .

(٥) تضرب الإبل الغريبة لترد عن الاختلاط بغيرها عند الورود .

(٦) الآية ١١٢ من سورة النحل . والقرية : مكة . الرغد : الواسع . وأذاقها لباس الجوع والخوف : استعارة يراد بها أنه أنزل الجوع والخوف بأهل مكة الذين كذبوا الرسول . وقـد شبّـه الحجـاج حـال أهل العراق بحال أهل مكة في العصيان وجحود النعم .

(٧) لا أهم بأمر إلا أنفذته .

(٨) خلق الأديم : قدره ليقطعه . فريت : قطعت . والجملة كناية عن عـدم تردده أو إحجـامـه عن تنفيـذ ما يهمّ به من الأمور .

(٩) الأعطيات : ج أعطية ، ج عطـاء ، (هـا) مـا يعطى المحـارب من الأجر أراد بـالعـدوّ : الخوارج . والمهلب بن أبي صفرة : قائد الأمويين في قتال الخوارج .

-٧-

دخل أبو حمزة الخارجي(☆) مكة ـ وهو أحد نُسَّاك الإباضيَّة وخطبائهم ، واسمه يحيى بن المختار(١) ـ فصعد مِنبرها متوكِّئاً على قوسٍ له عربيَّة ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيُّها النَّاس ، إنّ رسول الله ﷺ كان لا يتأخَّر ولا يتقدَّم إلا بإذن الله وأمره ووحْيه ، أنزَلَ الله كتاباً بَيَّن له فيه ما يأتي ويتَّقي ، ولم يكُ في شكٍّ من دينه ، ولا في شبهةٍ من أمره ، ثمَّ قبضه الله وقد عَلَّم المسلمين مَعالمَ دينِهم ، وولَّى أبا بكر صَلاَتَهُم ، فولاَّه المسلمون أمرَ دنْياهم حين ولاَّه رسول الله أمرَ دينهم ، فقاتَلَ أهل الرِّدَّة ، وعَمِل بالكتاب والسُّنة ، فمَضَى لسبيلِه رحمةُ الله عليه .

ثمَّ وَلِيَ عمر بن الخطَّاب رحمةُ الله ؛ فسار بسيرة صاحبه ، وعَمِل بالكتاب والسُّنة ، وجَبَى الفَيء ، وفرَضَ الأعطية ، وجمع النَّاسَ في شهر رمضان ، وجلد في الخمر ثمانين ، وغَزَا العَدُوَّ في بلادهم ، ومضى لسبيله رحمةُ الله عليه .

ثمَّ وَلِيَ عثمانُ بن عفَّان فسار سِتَّ سنينَ بسيرة صاحبيه ؛ وكان دونهما ، ثم سار في الستِّ الأواخر بما أحبط به الأوائل ، ثمَّ مضى لسبيله .

ثمَّ وَلِيَ عليّ بن أبي طالب ، فلم يبلُغْ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مَناراً ، ثم مضى لسبيله .

(☆) هو المختار بن عوف الأزدي . ولد بالبصرة ، وكان خارجياً على مذهب الإباضية . دعا إلى الخروج على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وبايع عبد الله بن يحيى سنة ١٢٨ على الخلافة وسار معه إلى حضرموت . توجّه أبو حمزة من اليمن لقتال مروان فمرَّ بمكه واستولى عليها ومرَّ بالمدينة فقاتله أهلها لكنه دخلها عنوة . وما لبث أن أرسل مروان لقتاله نحواً من أربعة آلاف فارس ، فالتقى جيش مروان وأنصار أبي حمزة في وادي القرى سنة ١٣٠ هـ ، وانتهت المعركة بهزيمة أبي حمزة وقتله .

(١) الشائع أنه المختار بن عوف أو المختار بن عبد الله .

ثمَّ وَلِيَ معاوية بن أبي سفيان لَعينُ رسول الله وابنُ لعينه ، فاتخذ عباد الله خَوَلاً ، ومال الله دُوَلاً ، ودينَه دَغَلاً ، ثمَّ مضى لسبيله ، فالعنوه لعنه الله .

ثمَّ وَلِيَ يزيدُ بن معاوية ، ويزيدُ الخمور ، ويزيدُ القرودِ ، ويزيدُ الفهود ، الفاسق في بطنه ، المأبونُ في فَرْجِه ، فعليه لعنة الله وملائكته .

ثمَّ اقتصَّهم خليفةً خليفة ، فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ، ولم يذكره . ثمَّ قال :

ثمَّ وَلِيَ يزيدُ بن عبد الملك الفاسقُ في دينه ، المأبون في فرجه ، الذي لم يؤنس منه رُشْد ، وقد قال الله تعالى في أموال اليتامى : ﴿ فإنْ آنسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فادْفَعُوا إليهم أمْوَالَهُمْ ﴾ ، فأمْرُ أمّةِ محمد عليه الصلاة والسلام أعظم . يأكل الحرامَ ، ويشرب الخمر ، ويلبس الحُلّة قُوِّمت بألف دينار ، قد ضُربَت فيها الأبشار[1] ، وهُتِكت فيها الأستار ، وأُخِذت من غير حِلِّها . حبابةُ عن يمينه[2] ، وسَلاّمة عن يساره[3] تغنّيانه ، حتّى إذا أخذ الشرابُ منه كلَّ مأخذ قَدَّ ثوبَه ، ثم التفت إلى إحداهما فقال : ألا أطير ألا أطير ! نعم فَطِرْ إلى لعنة الله ، وحريقِ ناره ، وأليم عذابه .

وأمَّا بنو أميّة ففرقةُ الضلالةِ ، بطشهم بطْشُ جَبَريّة ، يأخذون بالظِّنّةِ ، ويقضُون بالهوى ، ويقتلون على الغَضب ، ويحكمون بالشَّفاعة ، ويأخذون الفريضةَ من غير موضعها ، ويضعونها في غير أهلها ، وقد بيَّن الله أهلَها فجعلَهم ثمانيةَ أصناف ، فقال : ﴿ إنَّما الصَّدقاتُ لِلفُقَراء والْمَساكِينِ والعامِلينَ عَلَيها والْمُؤلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفي

(١) البشرة : ظاهر الجلد ، جمعها بَشَر ، وجمع بسر أبشار ، كشجرة وشجر وأشجار .

(٢) حبَّابة : من مولدات المدينة وكانت جميلة حسنة الغناء . اشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار .

(٣) سلامة هذه هي سلامة القسّ ، من مولّدات المدينة أيضاً ، أخذت الغناء عن معبد وابن عائشة فهرت . سميت سلامة القسّ نسبة إلى عبد الرحمن بن أبي عمار الذي اشتهر بعبادته وكان شغف بها . وقد اشتراها يزيد بن عبد الملك .

الرِّقَابِ والغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وابنِ السَّبِيلِ ﴾ . فأقبل صنفٌ تاسعٌ ليس منها فأخذها كلها . تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله .

وأمَّا هذه الشِّيع فشِيَعٌ ظاهرت بكتاب الله ، وأعلنوا الفِرية على الله ، لم يفارقوا الناس ببصرٍ نافذٍ في الدين ، ولا بعلمٍ نافذٍ في القرآن ، ينقمون المعصية على أهلها ، ويعملون إذا وُلُّوا بها . يُصِرُّونَ على الفتنة ، ولا يعرفون المخرج منها ، جُفاةٌ عن القرآن ، أتباعُ كُهَّانٍ ، يؤمِّلون الدُّوَل في بعث الموتى ، ويعتقدون الرَّجعة إلى الدُّنيا ، قلّدوا دينَهم رجلاً لا ينظر لهم ، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :

يا أهل الحجاز ، أتُعَيِّروني بأصحابي وتزعمون أنَّهم شباب ؟! وهل كان أصحابُ رسول الله ﷺ إلا شباباً . أما والله إني لعالمٌ بتتايعكم[1] فيما يضرُّكم في مَعادكم ، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركتُ الأخْذَ فوق أيديكم . شبابٌ والله مُكتهلون في شبابهم ، غبيَّة[2] عن الشَّرِّ أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم ، أنضاءُ عبادةٍ وأطلاحُ سَهَر[3] ، ينظر اللهُ إليهم في جوف الليل منحنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلَّما مرَّ أحدُهم بآيةٍ من ذكر الجنّة بكى شوقاً إليها ، وإذا مَرَّ بآيةٍ من ذكر النَّار شَهق شَهقة كأنَّ زفير جهنَّم بين أذنيه . موصولٌ كَلالُهم بكلالهم : كَلالُ الليل وكلال النهار . قد أكلت الأرضُ رُكَبَهم وأيديَهم ، وأنوفَهم وجباهَهم ، واستقلّوا ذلك في جَنْبِ الله ، حتَّى إذا رأوا السهامَ قد فُوِّقت[4] ، والرِّماح قد أُشرِعَت ، والسيوفَ قد انتُضِيَتْ ، ورَعَدت الكتيبة

---

(١) التتايع ـ بالياء ـ التهافت والوقوع في الشَّرّ خاصة .

(٢) أي عضيضة . وقد جاءت في إحدى النسخ .

(٣) أطلاح ، ج طِلح ـ بالكسر ـ وهو المعيي .

(٤) أي جعلت لها الأفواق ، والفُوق ـ بالضم ـ موضع الوتر من السهم .

بصواعق الموت وبرقت ، استخفُّوا بوعيد الكتيبة لوعْد الله ، ومضى الشابُّ منهم قُدُماً حتَّى اختلفت رِجلاه على عنق فرسه ، وتخضَّبت بالدّماء محاسنُ وجهه فأسرعَتْ إليه سباعُ الأرض ، وانحطَّت عليه طيرُ السَّماء ، فكم من عينٍ في منقارِ طائرٍ طالما بكى صاحبُها في جوف الليل من خوف الله ، وكم من كفٍّ زالت عن مِعْصَمها طالما اعتمد عليها صاحبُها في جوف الليل بالسُّجود لله . ثم قال : آه آه (ثلاثاً) . ثم بكى ونَزَل .

☆ ☆ ☆

البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ٢/١٢٣ ـ ١٢٥

فهرسة مختارة من مصادر الادب الإسلامي

أبو محجن الثقفي ، حياته وشعره ، دراسة وتحقيق محمود فاخوري ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية بجامعة حلب ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩

الأخطل شاعر بني أميّة للدكتور السيد مصطفى غازي ، دار المعارف بمصر ، ط ثانية ، د.ت .

الأخطل الكبير ، حياته وشخصيته وقيمته الفنية ، للدكتور فخر الدين قباوة ، دار الأصمعي بحلب ، ط أولى ، ١٣٩١ ـ ١٩٧١

الإسلام والشعر للدكتور سامي مكي العاني ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد (٦٦) ، حزيران ١٩٨٣

الأمالي لأبي علي القالي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٦

البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط رابعة ، ١٩٧٥

تاريخ الأدب العربي لبلاشير ، ترجمة إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، ط ثانية ، ١٩٨٤

تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري للدكتور نجيب البهبيتي ، دار الكتب ، مصر ، د.ت .

تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي للدكتور يوسف خليف ، ١٩٨٥

تطوّر الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية إلى أبي نواس للدكتور جميل سعيد ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ .

تطوّر الغزل بين الجاهلية والإسلام للدكتور شكري فيصل ، مطبعة دار الحياة ، ط ثالثة ، ١٣٨٤ ـ ١٩٦٥

التطوّر والتجديد في الشعر الأموي للدكتور شوقي ضيف ، ١٩٥٢
تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون ، المجمع العلمي الإسلامي ، بيروت ، د.ت .
جرير لمحمد إبراهيم جمعة ، سلسلة نوابغ الفكر العربي (١٩) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥
جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ، البابي الحلبي بمصر ، ط أولى ، ١٣٥٢ ـ ١٩٢٣
الحبّ العذري ، نشأته وتطوّره للدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٤٨
حسّان بن ثابت شاعر الرسول للدكتور سيد حنفي حسنين ، سلسلة أعلام العرب (٣٠) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، د.ت .
حسّان بن ثابت لمحمد إبراهيم جمعة ، سلسلة نوابغ الفكر العربي (٣٤) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥
الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د.ت .
دراسات في الأدب الإسلامي للدكتور سامي مكي العاني ، دمشق ، ١٩٧٥
دراسات في تاريخ العصر الأموي للدكتور نبيه العاقل ، دمشق ، ١٩٨٥
ديوان جميل ، جمع وتحقيق الدكتور حسين نصّار ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، د.ت . و ط ثانية ، ١٩٦٧
ديوان الحطيئة ، تحقيق الدكتور نعمان أمين طه ، البابي الحلبي بمصر ، ١٩٥٨
ديوان ذي الرّمة ، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٢
ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق عبد العزيز الميني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠
ديوان الشمّاخ ، حقّقه وشرحه صلاح الدين الهادي ، مصر ١٩٦٨

ديوان الطرمّاح ، حقّقه الدكتور عزة حسن ، دمشق ، ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨
ديوان عبد الله بن رواحة ، جمعه حسن محمد باجودة ، القاهرة ، ١٩٧٢
ديوان عبيد الله بن قيس الرقيّات ، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨
ديوان العجّاج ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، بيروت ١٩٧١ . وتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، مكتبة أطلس ، دمشق ١٩٧١
ديوان العرجي ، شرحه وحقّقه خضر الطائي ورشيد العبيدي ، بغداد ١٩٥٦
ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ثانية ١٩٦٠
ديوان الفرزدق ، تحقيق عبد الله الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٦
ديوان كثيّر عزّة ، جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٧١
ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦
ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فرّاج ، دار مصر للطباعة ، د . ت .
ديوان الوليد بن يزيد ، جمع وترتيب فرانشيسكو غابرييلي ، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٧
شرح ديوان جرير ، جمعه وشرحه محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت . وديوان جرير ، تحقيق الدكتور نعمان أمين طه ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩
شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري لعبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٢٩ . وديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٤
شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة السكري ، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠

شرح قصيدة كعب بن زهير للخطيب التبريزي ، حقَّقها كرنكو ، قدَّم لها الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، ط أولى ، ١٣٨٩ ـ ١٩٧١

شرح الهاشميات للكميت بن زيد ، مطبعة التمدن ، ١٣٢٩ هـ .

شعراء أمويون للدكتور نوري حمودي القيسي ، مؤسسة دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٩٧٦

شعراء البلاط الأموي للدكتور عمر فرّوخ ، بيروت ١٩٤٣

الشعراء الصعاليك في العصر الأموي للدكتور حسين عطوان ، مصر ، ١٩٧٠

الشعراء المخضرمون لعبد الحليم حفني ، القاهرة ، ١٩٨٣

شعر الأحوص ، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٠

شعر الأخطل ، صنعة السكري ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الأصمعي بحلب ، د. ت .

شعر الراعي النميري ، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي وهلال ناجي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٠

شعر الطبيعة في الأدب العربي للدكتور سيد نوفل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ثانية ، ١٩٧٨

شعر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، جمع وتحقيق سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧١

شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي ، جمعه وحقَّقه مطاع طرابيشي ، دمشق ، ١٩٧٤

شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام للنعمان عبد المتعال القاضي ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥

شعر قيس بن ذريح ، تحقيق الدكتور حسين نصّار ، دار مصر للطباعة .

شعر الكميت بن زيد ، تحقيق الدكتور داود سلوم ، بغداد ، ١٩٦٩

شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، للدكتور يحي الجبوري ، بيروت ، ١٩٨١
شعر النابغة الجعدي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٩٦٤
الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر ، ١٩٦٦
الشعر والغناء في المدينة ومكة للدكتور شوقي ضيف ، بيروت ، ١٩٦٧
طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم الجمحي ، شرح محمود محمد شاكر ، مصر ، ١٩٥٢
العشاق الثلاثة للدكتور زكي مبارك ، دار المعارف بمصر ، ط ثانية ، د. ت .
العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط ثالثة ، د. ت .
العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ، تحقيق أحمد أمين ورفيقيه ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط ثانية ، ١٣٧٤ - ١٩٥٥
الغزل للدكتور محمد سامي الدهان ، سلسلة فنون الأدب العربي ، دار المعارف بمصر ، الجزء الأول ، ط ثانية ، ١٩٦٤ ، والجزء الثاني ١٩٦٩
الفنّ ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط التاسعة ، ١٩٧٦
الفنّ ومذاهبه في النثر العربي للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط الخامسة ، د. ت .
في الشعر الإسلامي والأموي للدكتور عبد القادر القط ، دار النهضة القومية ، بيروت ١٩٧٦
قيس ولبنى ، جمع وتحقيق الدكتور حسين نصّار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د. ت .
الكامل في الأدب للمبرّد ، تحقيق زكي مبارك ، القاهرة ١٩٣٧ . والكافي في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦
كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب ، (٢٤) جزءاً ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، د. ت .

المجتمعات الإسلامية في القرن الأول للدكتور شكري فيصل ، دار العلم للملايين ، ط خامسة ، ١٩٨١

المدائح النبوية في الأدب العربي للدكتور زكي مبارك ، دار الشعب ، القاهرة ١٣٩١ - ١٩٧١

معجم الأدباء لياقوت الحموي ، طبعة أحمد فريد الرفاعي ، مصر ١٩٣٦ - ١٩٣٨

معجم البلدان لياقوت الحموي ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٥٥ - ١٩٥٧

« **الموقف النقدي من الشعر الإسلامي في عصر المخضرمين** » للدكتور طيبة البودي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد (٢١) ، العدد الثاني ، الكويت ١٩٩١

نقائض جرير والأخطل لأبي تمّام ، نشر الأب أنطوان صالحاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٢

نقائض جرير والفرزدق ، ليدن ١٩٠٥

الهجاء والهجّاؤون في صدر الإسلام للدكتور محمد محمد حسين ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .

الوسيط في الأدب العربي وتاريخه لأحمد الإسكندري ومصطفى عناني ، مطبعة المعارف بمصر ، ط سادسة ، ١٩٢٧

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تمهيد في دراسة النصوص ونقدها	٧
الفصل الأول : النصوص الشعرية	٢١
ـ قال حسّان : عفت ذات الأصابع فالجواء	٢٣
ـ قال كعب : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	٢٦
ـ قال أبو محجن :كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا	٢٨
ـ وقال أيضاً : لقد علمت ثقيف خير فخر	٢٩
ـ قال عمرو بن معد يكرب : لمن الديار بروضة السلان	٣٠
ـ قال القعقاع : رمى الله من ذمّ العشيرة سادراً	٣٣
ـ قال الحطيئة : ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم	٣٥
ـ وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أيها الملك الذي أمست له	٣٧
ـ قال سحيم : عميرة ودّع إن تجهزت غاديا	٣٨
ـ قال جرير : بان الخليط ولو طووعت مابانا	٤٠
ـ وقال يهجو الأخطل: أجدّك لا يصحو الفؤاد المعذّل	٤٤
ـ قال الفرزدق يفخر ويهجو جريراً : إن الذي سمك السماء بنى لنا	٤٦
ـ قال جرير يهجو الفرزدق : أعددت للشعراء سمّاً ناقعاً	٤٧

الموضوع	الصفحة
ـ قال الفرزدق يهجو إبليس : ألم ترني عاهدت ربي وإنني	٤٩
ـ قال الأخطل يمدح عبد الملك : خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا	٥٠
ـ قال الكميت : طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب	٥٦
ـ قال الطرماح : وإني لمقتاد جوادي وقاذف	٦١
ـ وقال أيضاً : كلّ حيّ مستكمل عدّة العمر	٦١
ـ قال عبيد الله بن قيس الرقيّات : حبذا العيش حين قومي جميع	٦٣
ـ قال عمر بن أبي ربيعة : أمن آل نعم أنت غاد فمبكر	٦٤
ـ قال جميل بن معمر : ألا ليت ريعان الشباب جديد	٦٩
ـ قال كثيّر عزّة : خليلي هذا ربع عزة فاعقلا	٧٢
الفصل الثاني : النصوص النثرية	٧٧
ـ خطب الرسول محمّد ﷺ يوم حجّة الوداع	٧٩
ـ خطب أبو بكر الصديق يوم السقيفة	٨٢
ـ خطب الإمام عليّ يحثّ الناس على الجهاد	٨٣
ـ كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري	٨٦
ـ خطب زياد بن أبيه حين ولي العراق	٨٨
ـ خطب الحجاج في الكوفة	٩٠
ـ خطب أبو حمزة الخارجي في مكة	٩٣

هذا الكتاب

يضمُّ مجموعة من الاختيارات الأدبية الّتي تمثل صورة عامة للأدب في العصر الإسلامي . وقد روعي فيها أن تكون معبّرة عن مراحل الأدب الزّمنيّة من جهة وعن اتجاهاته الموضوعيّة من جهة أخرى .

وقد جعلت هذه الاختيارات في فصلَيْن : خُصّص الأوّل منهما للنّصوص الشّعريّة ، على حين خُصّص الثّاني للنّصوص النثريّة . والنُّصوص بنوعيها الشعري والنّثري هي من عيون الأدب الّتي أجمعت الآراء على جودتها وأهميتها .

ولما كانت النُّصوص موجّهة للدّارسين والطّلبة فقد ضُبطت ضبطاً دقيقاً وشُرحت مفرداتها شرحاً مناسباً ، كما مُهّد لها بذكر المناسبة ، وما يتصل بالنّصّ من ظروف معينة على فهمه ووضعه في موضعه .

08
97